

العدد الثاني والسبعون - جمادى الأخرة 1430هـ

في البدء كان التشيع السياسي

الحداثة



- الإعلام وصراعنا مع الفرس
- مولد جمهورية الشرق العربية !!
- الصوفية في الكويت
- فيلم " موز " حول زواج المتعة
- الفضائيات التبشيرية الشيعية
- ثمة حقائق ... والمؤخرات عارية

المحتويات





فـاتحة القـول

فـرق ومذاهـب

سطـور من الذاكـرة

دراســـات

كـتـاب الـشــهر

قـالـــوا

جـولـة الصحافـة

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٢٥) دولار أمريكي

العدد
(الثاني والسبعون)
جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ

www.alrased.net
info@alrased.net



في البدء
كان التشيع السياسي!!

سمع الكثير من المثقفين في أمتنا بحكاية موت الضفادع حين وضعت في ماء يسخن بالتدريج، فبقيت ساكنة حتى نضجت على نار هادئة، هذه الحكاية التي تروى كقصة رمزية على خطورة الغباء بعدم إدراك الخطر إلا إذا كان واضحًا وصريحًا ومعلنًا.

والحقيقة: أن الكثير من أمة الإسلام اليوم -ومع الأسف- كهؤلاء الضفادع؛ لا يدركون الخطر وحقيقته إلا حين تنضج جلودهم على نار هادئة!!

فالخطر الإيراني الشيعي هو مثل قِدر الماء الذي يسخن بنار هادئة، وتوضع فيه دولنا العربية والإسلامية كالضفادع! **فها هي لبنان** قد نضجت أو تكاد، ومثلها العراق، وجزر القمر، وسوريا.

أما البحرين والسعودية؛ فهما لا تزالان في بداية المشوار!! **أما مصر، والمغرب، والأردن، والجزائر، والسودان، وبعض دول أفريقيا وآسيا الإسلامية**؛ فهي على الطاولة بجوار القدر، تنتظر أن ينضج ما فيه لتوضع مكانه، ولا حول ولاقوة إلا بالله!

ولعل من آخر أمثلة الفهم -بعد النضج على نار هادئة-: تصريحات د.حارث الضاري -الأمين العام لهيئة علماء المسلمين بالعراق-، «أن من يحكم العراق هو السفير الإيراني». (جريدة «العرب» القطرية، ١٥/٥/٢٠٠٩).

لقد بقي الضاري سنوات عديدة يرفض إدانة إيران على ما تقوم به من تخريب في العراق، حتى وصل الخراب إليه هو نفسه، وأصبح لا يمكنه دخول العراق.

ولا ندري ما الذي دفعه للسكوت تلك الأيام؛ مع أن إيران كانت تعيث فسادًا بوضح النهار في العراق -منذ احتلاله-؟!

ولا ندرى -أيضًا- لماذا جاءت التصريحات الجديدة؟!

بعض السذج من أمتنا يهوّن من الخطر الإيراني أو الشيعي بقوله: هذا تشيع ومناصرة سياسية، وليست عقدية، ولو كان -هذا القائل- يدرك ما يخرج من فمه لسكت! فهل التشيع إلا مذهب سياسي تسربل بالدين ليروج على الأغبياء!!

إن الثوار الذين ساقهم عبد الله بن سبأ اليمني من مصر والعراق للمدينة النبوية فاحتلوها -مثل احتلال حزب الله لبيروت-، ومن ثم قتلوا الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه، ونصّبوا عليًّا خليفة؛ لم يكونوا شيعة بعد!!

ولكنهم حين انقسموا بعد التحكيم إلى خوارج -كالقاعدة الذين يتحالفون اليوم مع إيران-، ومناصرين لعلي رضي الله عنه بدأ يروّج ابن سبأ بينهم أفكارًا دينية من خلفيته اليهودية، دون موافقة علي رضي الله عنه، فتبلورت بدايات نحلة التشيع!!

وهكذا تأسست نحلة التشيع على أفكار سياسية، هي: أن الإمامة محصورة في رجل وذريته، ولدواعي هذا الحصر اخترعوا عقائد عصمتهم، وعلمهم بالغيب، ونزول الوحي عليهم، وتطلب هذا تكفير بقية الصحابة، وادّعاء تحريف القرآن، وهكذا بقية العقائد.

ولأن بعض الأذكياء بين هؤلاء الأدعياء لم يرضَ أن يكون قائدًا صغيرًا؛ انشق عن جماعة الشيعة، وأسس نحلة شيعية خاصة به؛ ليكون هو الزعيم الأول لا أحد القادة فحسب، فظهرت الإسماعيلية بأقسامها، والقرامطة، والعلوية، وغيرها.

إن البعد السياسي هو المركز الذي يقوم عليه التشيع، فأهم عقائد التشيع: الإمامة، وهي عقيدة سياسية بامتياز، والتشيع طوال التاريخ تمسّح بالدين للوصول إلى السلطة، وهذا التاريخ تحتار من أين تبدأ في سرده: من حركة المختار بن عبيد الثقفي؟ أم من دولة القرامطة؟ أم الدولة العبيدية في تونس ثم مصر؟ أم الدولة الصفوية؟ ويبقى الحال نفسه وصولًا إلى عصرنا الحاضر؛ من ثورة الخميني، ومقاومة حزب الله في لبنان، وادّعاء شيعة العراق المظلومية والاضطهاد.

ولو بحثت ودقّقت في كل من تشيّع من أهل السنة عقديًّا؛ تجد أن بداية هذا التشيع العقدي كانت تشيعًا سياسيًّا، انخداعًا بشعارات براقة، وهتافات لذيذة، ومواقف إعلامية جذابة!

وبعد هذا أصبح هناك الثناء والتأييد؛ الذي وجد من إيران ووكلائها المتابعة والتحفيز عبر سيل من الكتب الدعائية للتشيع، أو الدعوات لزيارة إيران، أوالمنح الدراسية والسياحية، وأحيانًا الدعوات للمشاركة في المؤتمرات والندوات الإيرانية.

وبعد ذلك: تهل المغلفات المكتنزة بالمال، والليالي الشهية المغلفة بالمتعة الشيعية!!

لينتج من هذا السفاح مولود خداج يدعى: «متحول»؛ يبدأ بالقيء بما حشى به جوفه؛ من تكذيب للقرآن الكريم، وطعن في السنة النبوية، واتهام لزوجات المصطفى ﷺ، وتكفير للنخبة المختارة من أصحاب الرسول الكريم.

وبعد هذا يأتي من يتذاكى من رجالات الحركات الإسلامية ممن يوصف بأنه متنور وخبير؛ ليهوّن من شأن التشيع؛ بحجة محاربة الصهيونية، وأن إسرائيل تحارب إيران!

ولتصدّر أمثال هؤلاء لم تنجح الحركات الإسلامية بعد في تحقيق نصرة الإسلام، **فمتى كان عداء إسرائيل** لجهة شهادة تزكية؟؟ **ومتى نستطيع أن نرتقي**؛ لنفهم أن الأعداء يتصارعون على الفريسة -أيضًا-؟؟

متى ندرك حديث رسول الله ﷺ أن أمتنا ستتكالب عليها مجموعة من الأمم؛ وليست أمة واحدة، حين قال: «**تتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة على قصعتها**»؟؟ **متى نصل لمرحلة إدراك الحقائق**؛ دون أن تكون متجسدة بأشخاص؟!

لقد رفضت الدعوة الإسلامية -وهي محقة- منهج ومسار الفصائل الفلسطينية بالارتماء في أحضان الشيوعية، والإشتراكية، واليسارية؛ بحجة كسب المعسكر الشرقي ضد إسرائيل، لأن الكفر والظلم الإسرائيلي لا يُزال بالكفر والظلم الشيوعي!

فما بال الحركات الإسلامية -اليوم- تعيد الكرة؟! لكنها تتقمص دور المنظمات الفلسطينية اليسارية، وتنبذ موقفها السابق؛ الرافض للركون لمنهج محارب لشرع الله ﷻ؟!

إن بقاء فصائل العمل الإسلامي في مرحلة الطفولة والانخداع بالمظاهر؛ دون تمحيص الجوهر لن ينتج عنه إلا بقاء وضعنا على ماهو عليه؛ من خير جزئي، ومكاسب يجنيها الآخرون؛ ولكن على أكتافنا!

وليس هذا فحسب، لكنهم -أيضًا- حين يرتقون على أكتافنا لا يرددون الدعاء المأثور: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[الزُّخرُف:١٣]!!



الحداثة

د. حمدي عبيد [1]

سبق للراصد في العدد (٣٥) نشر مقالًا حول «**الحداثة**»[2]، ذلك المذهب الفكري المعادي للدين، والأخلاق، والقيم، وفي هذا العدد ننشر مقالًا جديدًا حول الموضوع نفسه؛ متضمنًا أفكارًا جديدةً وموسعة، نرجو أن يجد القارئ الكريم في المقالين فكرة وافية عن هذا المذهب. «**الراصد**» .

التعريف:

الحداثة (Modernism): مذهب فكري، يسعى الى نبذ القديم الثابت من العقائد، والشرائع، والقيم، ورفض السائد، والمألوف، وكل ماهو معروف، فهم يقررون أن: «الحداثة تمتاز بالثورة على التقاليد الشكلية واللغوية، والاقتحام والنفور من كل ما هو متواصل»، على مايؤكده الباحثون الغربيون الذين يفسرون ما ذكروه من ميزات الحداثة بقولهم: «لقد عرفت الحداثة بأنها: حركة ترمي إلى التجديد، ودراسة النفس الإنسانية من الداخل، معتمدة في ذلك على وسائل فنية جديدة..، فأمامنا الثورة على ما هو مألوف..، وأمامنا -أيضًا- تداعي الأفكار في الرواية».

إن من أبرز سمات الحداثة: الثورة الأبدية في كل عصر، وعند كل جيل، تأمل قول كالينيو: «إن الحداثة في جوهرها ظاهرة تعكس معارضة جدلية ثلاثية الأبعاد: معارضة للتراث، ومعارضة للثقافة البرجوازية بمبادئها العقلانية والنفعية، وتصورها لفكرة التقدم، ومعارضة لذاتها؛ كتقليد، أو شكل من أشكال السلطة أو الهيمنة».

والحداثة عند نورين: «تستبدل فكرة الله بفكرة العلم، وتقصر الاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة لكل فرد».

إذن؛ فالحداثة في الغرب تمثل: مذهبًا فكريًا رافضًا للثوابت والمسلَّمات القديمة؛ من العقائد والشرائع ذات الطابع الكنسي الشمولي.

مفهوم الحداثة في العالم العربي:

لايختلف مفهوم الحداثة عند معتنقيها في العالم العربي عن مفهومها عند مؤسسيها وقادتها في العالم الأوربي الغربي، يقول الحداثي أدونيس: «إن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسلِّيه، أو تقدم له مادة إستهلاكية، ليست تلك التي تسايره في حياته الخارجية، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة -أي: تصدمه-، تخرجه من سباته، تفرغه من موروثه وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم كلها؛ بجميع مظاهرها ومؤسساتها، من أجل تهديمها كلها، يلزمنا تحطيم الموروث والثابت».

وهناك أكثر من تعريف عند الحداثيين العرب للحداثة، خلاصتها: «الحداثة: مذهب فكري يسعى إلى

---

(١) باحث مصري متخصص في شؤون الفرق المذاهب المعاصرة.

(٢) على الرابط:
http://www.alrased.net/show-topic.php?topic-id=228

هدم كل موروث ثابت، والقضاء على كل قديم، إلا الظواهر الثورية والباطنية والفلسفية».

أو هي -كما يعبر الحداثيون-: نقل مصادر المعرفة والفكر من السماء إلى الأرض.

وبالتالي؛ فإن الحداثة: منهج فكري، ونظرية ذات فلسفة؛ ولا تقتصر على الجانب الأدبي فقط، وإنما تعم وتشمل كافة الجوانب الحياتية؛ الاجتماعية كانت أم معرفية، أم صناعية، أم غيرها، حيث تقوم على العقل والعقلانية، وتهدر كل ما لا يدركه العقل المتحرر من كل سلطان.

وبالتالي؛ فهي ترفض جميع العقائد، والتصورات، وأشكال التنظيم الاجتماعي؛ التي لا تستند إلى أسس عقلية، أو علمية.

ويقسم أدونيس الحداثة إلى أنواع ثلاثة:

الحداثة العلمية: وتعني: إعادة النظرة المستمرة في معرفة الطبيعة للسيطرة عليها، وتعميق هذه المعرفة.

الحداثة الثورية: وتعني: نشوء حركات، ونظريات، وأفكار جديدة، ومؤسسات، وأنظمة جديدة؛ تؤدي إلى زوال البنى التقليدية القديمة في المجتمع، وقيام بنى جديدة.

الحداثة الفنية: وتعني: تساؤلًا جذريًّا يستكشف اللغة الشعرية ويستقصيها، ويفتتح آفاقًا تجريبية جديدة في الممارسة، وابتكار طرق للتعبير تكون في مستوى هذا التساؤل.

ويشترط لكل هذا: أن يصدر عن نظرة شخصية فريدة للإنسان والكون.

الفرق بين الحداثة والتنوير:

لعل من أوضح الفروق بين الحداثيين والتنويريين: أن الحداثيين يفتخرون بعدم انتسابهم للإسلام، ويدعون للثورة عليه، وعلى مصادره، وعقائده، وشرائعه، بل الثورة على كل قيمة أو خلق لا يدركه عقلهم المتحرر من كل سلطان.

أما التنويريون؛ فهم -في الغالب- يدعون الانتساب إلى الإسلام، ولكنهم أسرى الانبهار بالحضارة الغربية، لذلك حاولوا التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية؛ من خلال إخضاع النص الشرعي لما تقرره عقولهم، فعطلوا بذلك الكثير من قضايا العقيدة والشريعة؛ لعدم تناسبها -بحد زعمهم- مع الفكر الحضاري الغربي.

وعلى الرغم من الخلاف بين الفريقين في المنطلقات؛ لدرجة أن يأنف الحداثيون أن يصفوا أنفسهم بالتنويريين، إلا أنهم مع ذلك يشجعون التنويريين لخلخلتهم للكثير من الثوابت، الأمر الذي يمهد لهم الطريق في العالم العربي.

نشأة الحداثة في العالم الغربي:

اختلف الغربيون في تأريخ الحداثة عندهم، فزعم بعضهم أن طبيعة الحداثة، وكذلك مكان نشوئها، والأسباب التي كانت وراء ظهورها: ظلت غامضة بعض الشيء، وسبب الخلاف في ذلك: أن لفظ: «الحداثة» استعمل في بادئ الأمر مرادفًا للرومانسية، واستعمل -كذلك- في وصف الأجواء العامة للأدب الأوربي، واستعمل -كذلك- في جانب آخر في وصف حركة ثورية جارفة في الحضارة الأوربية.

لذا؛ اختلف الباحثون في تحديد نشأتها، تبعًا لتحديد مفهومها الدقيق، مع اتفاقهم على خصائصها وأسسها العامة، فصار كل واحد من أولئك الباحثين يحدد بداية الحداثة بناء على ما يعرفه من حركات ثورية تغييرية، وبناء على ما علمه من أن تلك الحركة الثورية هي الأولى،

فأطلق عليها لفظ: «الحداثة».

(ومن أسباب الإختلاف -أيضًا-: الغموض الذي يغطي مفاهيمها ومقاصدها، وهو أهم ما يميزها عن غيرها من الحركات الثورية).

ذلك الاختلاف هو في زمن نشأتها.

أما المكان؛ فيجمع الباحثون على أنها نشأت في فرنسا عام (١٨٣٠م)، وأن الحداثي الفرنسي شارل بودلير مؤسسها الأول، ومن هناك انتشرت في الدول الأخرى.

نشأة الحداثة في العالم العربي:

على الرغم من بداية ظهور الحداثة في العراق على يد بدر شاكر السياب، المولود عام (١٣٤٤هـ- ١٩٢٦م) لأسرة شيعية بجنوب البصرة، ونازك الملائكة المولودة عام (١٣٤٢هـ- ١٩٢٣م) في بغداد لأبوين شاعرين، وعلى الرغم من انتباهها إلى خطورة الحداثة على اللغة العربية؛ مما دفعها لتبدي تحفظها عليها عقيدةً ومسلكًا، ولذلك سعت إلى كسر حدتها، إلا أنه في منتصف القرن العشرين -تقريبًا- أعلن عن الحداثة والدعوة إليها بواسطة تجمع «شعر»، وهم طائفة من كبار الحداثيين العرب؛ الذين اجتمعوا في لبنان، وأصدروا مجلة «شعر» الناطق الأول بإسم الحداثة، وذلك عام (١٩٥٧)، ومن ذلك الحين أعلنت الدعوة إلى الحداثة باسمها، وأسسها، وقواعدها المعروفة الآن، ومن ثم انتشرت في بقية دول العالم العربي.

وقد سبقتها حركات وجمعيات وأمور مهدت لها الطريق، فتدرج الفكر الحداثي شيئًا فشيئًا؛ حتى أعلن عن نفسه صراحة بواسطة ذلك التجمع.

ومرت تلك الممهدات للحداثة بعدة مراحل هي: مرحلة الحملة الفرنسية على مصر، مرحلة البعثات الخارجية، مرحلة الإرساليات التنصيرية، مرحلة الترجمة، مرحلة المدرسة المهجرية، المدارس والحركات الأدبية.

المرحلة الأخيرة هي: مرحلة مجلة شعر؛ التي أعلنت الحداثة عام (١٩٥٦) عندما عاد النصراني الحداثي اللبناني يوسف الخال من أمريكا إلى بيروت، فبدأ باتصالات مكثفة مع المشتغلين بالثقافة والأدب؛ من البعثيين، والقوميين، والماركسيين، ونحوهم، وأصدروا مجلة «شعر».

وبعد هزيمة المشروع القومي العربي عام (١٩٦٧م) أحس القوميون العرب بمرارة هزيمة مشروعهم القومي، فأخذوا يهربون إلى أوروبا، ومَن لم يستطع الهرب؛ هرب من فكره وانسلخ من هويته إلى ما يسمى بالحداثة، وقد وجدوا في الأدب مهربًا لهم يعبّرون فيه عن نفسياتهم المنهزمة.

وبإجمال يمكن القول بأن التيار الحداثي الإنجليزي استطاع أن يؤثر على الشعر العراقي في الخمسينيات، بينما استطاع التيار الحداثي الفرنسي أن يؤثر على الشعر في لبنان، ومن لبنان انتشرت في سوريا، وفلسطين، والأردن، ومصر، ويصرح السياب مفتخرًا بالدور العراقي في نشر الحداثة بقوله: «إن هذه العملية الثورية التي بدأت في بغداد بدأت تصل إلى الأقطار العربية الأخرى»، ولذلك؛ مثَّل الحداثيون العراقيون العمود الفقري لمجلة «شعر».

ويشير بعض الباحثين إلى أن الاتجاه الحداثي بدأ في السعودية على يد محمد حسن عواد (ولد عام ١٩٠٢م)؛ وبخاصة بعد إصداره كتابه «خطوط مصرحة» عام (١٩٢٥م)، وقد خلف محمد عواد جيلًا من الأدباء

الحداثيين منهم: حمزة شحاته، أحمد قنديل، طاهر زمخشري، عزيز ضياء، حسن القرشي.

وقد بدأت الحداثة في السعودية بأصولها الفكرية المعروفة في العقد السادس من القرن العشرين -تقريبًا-.

بينما بدأت في اليمن في الخمسينيات من القرن الماضي، وبرز منهم: عبد العزيز المقالح، وغيره.

ولكن تيار الحداثة بالمغرب العربي برز بشكل أعنف في ارهاصاته الأولى على يد: أحمد المجاطي، محمد الخمار، محمد الميموني، أحمد الجوماري، عبد الكريم الطبال؛ الذين دعوا الى التحديث الفكري، والاجتماعي، والأدبي، والسياسي، ثائرين على كافة الأصول الفكرية والاجتماعية القديمة في المجتمع المغربي.

بينما كانت بدايته الحقيقية بأصولها ومبادئها الفكرية المعروفة في نهاية الستينيات، على يد عبد الله العروي، عبد الكبير الخطيبي، محمد عابد الجابري.

أثر الماسونية في نشر الحداثة:

أكد كثير من الباحثين: أن للماسونية أثرًا كبيرًا في تمكين الحداثة، ونشرها، ودعمها في العالم الإسلامي والعربي منه بخاصة، وأشهر تلك المؤسسات الماسونية الهادمة: «مؤسسة فرانكلين»، و«المنظمة العالمية لحرية الثقافة»، وغيرها من المؤسسات الأمريكية التي تشرف عليها «المخابرات المركزية الأمريكية».

وفي (تشرين الأول عام ١٩٦١) أقامت «المنظمة العالمية لحرية الثقافة» الماسونية احتفالًا عظيمًا في روما للفكر الحداثي في العالم العربي، وذلك بالتعاون مع «معهد الشرق الإيطالي»، وإدارة مجلة «تمبو بريزنتة»، تأييدًا للحداثة وتشجيعًا لها في العالم العربي، وقد شارك في ذلك المؤتمر أكثر من خمسين حداثيًّا، بعضهم عرب، وبعضهم من أمريكا وأوربا، وتقول سلمى الجيوسي التي حضرت مؤتمر روما: «إن منظميه لم يكونوا أمريكيين فقط، بل كانوا من الصهاينة -أيضًا-».

إرهاصات الحداثة في العالم العربي:

١- جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣-١٩٣٦): يعد من أوائل الممهدين للحداثة بثورته في العراق على القيم الاجتماعية، والسياسية، والأدبية؛ حيث حارب الحجاب، ودعا إلى تحرير المرأة من الأحكام الشرعية، وطالب بالتبرج والسفور، وشجع على نزع الحجاب، والاختلاط، كما اعترض على مشروعية تعدد الزوجات، وكرس جهده لمحاربة القواعد الشعرية وإلغاء القوافي.

٢- خليل مطران (شاعر القطرين): يكاد يجمع الحداثيون على أن خليل مطران يمثل طليعة الحداثيين، واستاذ العصرانية، ومن كبار دعاة التحرر من الأساليب القديمة.

٣- جبران خليل جبران: والذي يعتبره أدونيس نبيًّا للحداثة؛ حيث اعتبر أن له وحيًّا يكشف له عن الغيب بواسطة الرؤيا الإشراقية التي تتجلى له.

٤- ميخائيل نعيمة: أديب لبناني نصراني، تعلم في روسيا القيصرية، وتأثر بأدبائها، اعتنق البوذية والهندوكية، انضم إلى الماسونية في حركة «سورية الحرية»؛ التي تنادي بجعل سوريا محمية أمريكية، شارك مع جبران خليل جبران وأدباء آخرين من نصارى لبنان أثناء إقامته في أمريكا بتأسيس الرابطة القلمية عام (١٩٢٠م)، والتي قامت حملة ثورية جارفة للدعوة لقطع علاقة الحاضر بالماضي، ولذلك استهدفت مفهوم الشعر العربي وعناصره الشكلية والموضوعية؛ حيث يرون أن الأدب

العربي هو الوجه الآخر للإسلام، ولذلك وقفوا منه ومن اللغة العربية مواقف العداء.

٥ - معروف الرصافي: وقد اتخذ من مهاجمة العادات والتقاليد الدينية منهجًا اجتماعيًّا، وقد اتخذ من نقده للماضي مدخلًا لمهاجمة أحكام الشريعة التي دعا للتخلص منها، كما دعا إلى إنكار الدين، والوحي، والنبوة، والغيبيات، والثواب، والعقاب، والجنة، والنار.

٦ - جماعة أبولو: والتي تأثر مؤسسها أحمد زكي أبو شادي بالنزعة الغربية الإنجليزية؛ بعد انتسابه للمذهب الرومانتيكي.

٧ - جماعة الديوان: التي سعت إلى تقليد المدرسة الانجليزية، والسير خلف مفاهيمها وسلوكياتها، بهدف إقامة حد بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما.

أبرز رواد الحداثة العرب ومنظريها:

١ - يعد يوسف الخال: رائد الحداثة الأول في العالم العربي؛ حيث عمل بعد عودته من دار هجرته في أمريكا إلى بيروت -التي سكنها كموطن بديل لبلده سوريا- في تنظيم أول تجمع حداثي ضم طائفة من أصحاب التوجهات الماركسية، والبعثية، والقومية، أمثال: أدونيس، وزوجته خالدة سعيد، ونذير العظمة، وأنسي الحاج، وشوقي أبو شقرا، وأسعد رزوق، ومحمد الماغوط.

٢ -علي أحمد سعيد أسبر، المشهور بأدونيس: شاعر حداثي نصيري سوري، نشأ نشأة دينية، وتعلم أشعار المتصوفة العلويين «النصيرية»؛ كالمكزون، والمنتجب، يعتبره الحداثيون رائد الحداثة الأول، وصاحب تلمودها المقدس عندهم، والمتمثل في أطروحته للدكتوراة من الجامعة الأمريكية في بيروت «الثابت والمتحول.. بحث في الاتباع والإبداع عند العرب»، حيث اهتم فيه بهدم الإسلام واللغة العربية بتشجيع من الجامعة والمشرفين عليه، طبق عمليًّا ثورته على التراث، فغير اسمه واسم أبيه؛ لأنهما من أسماء التراث الإسلامي، واختار بدلًا منه اسم قومي سوري، له مكانته في الأساطير الفينيقية: «أدونيس»، والذي يرمز إلى إله الخصب والنماء.

عُين استاذًا في الجامعة اللبنانية، في كليتي التربية ثم الآداب، وعمل موظفًا بجامعة الدول العربية التي استقال منها، جاب عددًا من الأقطار مبشرًا بالحداثة ومفاهيمها، شارك مع يوسف الخال في تأسيس مجلة «شعر»؛ التي تركها بعد عددها السابع والعشرين في عام (١٩٦٣م)، ثم أسس مجلة «مواقف» عام (١٩٧٨م).

يكثر أدونيس من الإشادة بالصوفية، والباطنية، والشيعة، والقرامطة، والحركات الشعوبية؛ كما كان دائم المدح للثورة الخمينية.

٣ -خليل حاوي: نصراني حداثي، شارك في تنظيم تجميع الحداثيين، وإنشاء مجلة «شعر»، وعنه يقول يوسف الخال: «خليل حاوي هو بالتأكيد واحد من سدنة الحداثة، وقد أعطى الكثير لهذه الحداثه».

٤ - لويس عوض: شاعر حداثي نصراني مصري يدعي أنه هو أول من ابتدع الحداثه الشعرية.

٥ - عبد الوهاب البياتي: شاعر حداثي شيعي عراقي، وأحد كبار الذين ابتدعوا الحداثه في الشعر العربي، انتمى للشيوعية الماركسية.

وهناك بإجمال: محمد أركون الحداثي الجزائري، **محمد عابد الجابري** المغربي، **صلاح عبد الصبور** - من رواد الحداثة المصريين -، محمود درويش الشيوعي الفلسطيني، وعضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية، **توفيق صايغ** حداثي فلسطيني نصراني، **سميح القاسم، أمل دنقل، وجابر عصفور، وأحمد عبد المعطي حجازي، ونصر حامد أبوزيد** -من عتاة الحداثيين الماركسيين المصريين-، **عبد الله الغذامي** حداثي، **وسعيد السريحي** -من كبار الحداثيين بالسعودية-.

على كل فإن؛ رواد تلك الحداثة جلّهم من أصحاب الأقليات والطوائف المنحرفة؛ التي اتخذوها سلمًا لتمرير وتسويق عقائدهم وأفكارهم الفاسدة.

فمن الشيعة الروافض نجد: عبد الوهاب البياتي، مظفر النواب، مهدي عامل، حسين مروة، محمد مهدي شمس الدين، شوقي بزيع، محمد مهدي الجواهري، أحمد الصافي النجفي، محمد الموسوي، محمد صالح عبد الرضا «العراق»، ومن السعودية: محمد العلي، وابنه رياض، أحمد الشويخات، حنان الشيخ.

من الدروز: شبلي العبسمي، حمود الشوفي، منصور الطرش، سليم حاطوم، توفيق زياد.

من النصيرية: سليمان العيسى، بدوي الجبل، محمد سليمان الأحمد، أحمد سليمان الحمد، زكي الأرسوزي، صلاح جديد، محمد عمران، ابراهيم ماخوس.

من البربر الجزائريين الشيوعيين: كاتب ياسين، نبيل فارس.

ومن النصارى: يوسف الخال، لويس عوض، سعيد عقل، انطوان سعادة، خليل حاوي، غالي شكري.

أشهر مجلاتهم:

مجلة «الآداب»، الصادرة في بيروت عام (١٩٥٣م)، وتمثل أول تجمع ثوري حداثي -كما يصفها غالي شكري-، عملت على توظيف الحركة الحداثية لصالح المشروع الناصري.

مجلة «شعر»، أصدرها يوسف الخال وأدونيس في بيروت عام (١٩٥٧م)؛ لتصبح أول منبر حداثي خالص، بدعم من جهات تنصيرية وماسونية أمريكية، وعلى الرغم من اجتماعها ومجلة «الآداب» على معاداة الإسلام؛ إلا أنه قد اشتد بينهما الصراع من أجل توظيف الحركة الحداثية لصالح المشروع الغربي الحداثي، على العكس من اتجاه مجلة الآداب، توقفت المجلة عام (١٩٦٤) بعد العدد (٣٢)، ليعلن عن انهيار تجمع «شعر»، ولكنها عاودت الصدور عام (١٩٧٠م) ثم توقفت نهائيًّا.

مجلة «أدب»، الصادرة من تجمع «شعر» عام (١٩٦٢م)؛ لتنافس مجلة «الآداب» في ترسيخ مفاهيم الحداثة بمنظورها الغربي.

مجلة «مواقف»، التي أسسها أدونيس بعد انفصاله عن مجلة «شعر» عام (١٩٦٨م)؛ لنشر الحداثة وتمكينها في العالم العربي، وفي عام (١٩٨٩م) أقامت بالاشتراك مع دار الساقي بلندن مؤتمرًا بعنوان: «الإسلام والحداثة».

مجلة «حوار»، الصادرة عن المنظمة العربية لحرية الثقافة بلبنان عام (١٩٦٢م)، وبتمويل من وكالة المخابرات الأمريكية، وقد توقفت في عام (١٩٦٧م) بسبب ذلك.

وعن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدر عدد من المجلات الحداثية **التي تواكب على رئاسة تحريرها كبار الحداثيين الماركسيين أمثال:** أحمد عبد المعطي حجازي، وعز الدين اسماعيل، وجابر عصفور، مثل: مجلة «فصول» ومجلة «النقد الأدبي»، ومجلة «القاهرة» مجلة أسبوعية ثقافية، ومجلة «إبداع» ومجلة «أدب وفن».

وعن حزب التجمع الوطني الوحدوي «شيوعي» في مصر تصدر مجلة «أدب ونقد»؛ كأبرز مجلة حداثية تدعو بشكل صريح للماركسية الحداثية.

هذا بالإضافة إلى مجلات مثل: «الفكر العربي المعاصر»، الصادرة عن مركز الإنماء العربي ببيروت، ومجلة «الناقد»، الصادرة عن دار ضياء الدين الريس بلندن، ومجلة «الطريق»، الصادرة عن الحزب الشيعي اللبناني، ومجلة «السراج»؛ التي تصدر من مسقط بسلطنة عمان؛ كأبرز المجلات الحداثية الخليجية، ومجلة «الشروق» الإماراتية، ومجلة «كلمات» البحرينية، و«المدى» البيروتية، ومجلة «الثقافة الجديدة المغربية»؛ التي توقفت عام (١٩٨٤م)، لتتبنى دار توقال نشر الفكر الحداثي بالمغرب العربي بدلًا منها.

وهناك عدد من الصحف اليومية والمجلات الدورية التي اخترقها الحداثيون وأجادوا استغلالها لصالح مشروعهم التخريبي مثل: «صحيفة الأهرام» المصرية، «الرياض»، و«عكاظ»، و«المدينة»، ومجلة «اليمامة»، «واقرأ» السعودية، و«الأضواء» البحرينية، و«المنتدى»، و«الخليج»، و«الشروق»، و«الاتحاد» الإماراتية، و«السياسة»، و«العربي»، و«عالم الفكر» الكويتية، «الاجتهاد والفكر العربي» اللبنانية، و«الشرق الأوسط» اللندنية.

أشهر منتديات الحداثيين ومهرجاناتهم الأدبية:

استخدم الحداثيون المهرجانات الأدبية كوسيلة فعالة لنشر وترويج أفكارهم الحداثية، بالإضافة إلى أنها فرصة لهم للّقاء، وتبادل الخبرات، وتلاقح الأفكار.

ومن أبرز تلك المؤتمرات والمهرجانات التي أقاموها؛ أو استغلوها لصالح مشروعهم المنحرف:

«**مؤتمر الأدب العربي المعاصر**» بروما عام **(١٩٦١م)** ويعد المؤتمر الحداثي الأول الذي يلتقي فيه الحداثيون العرب مع نظرائهم من الغربيين.

«**مهرجان القاهرة للإبداع العربي**» **عام (١٩٨٤).**

«**مهرجان القاهرة للشعر العربي**» **(١٩٩٤م).**

«**مهرجان الشعر الخليجي**»؛ الذي أقامته جامعة الكويت عام (١٩٧٥م).

هذا بالإضافة إلى المهرجانات السنوية التي يكون صوتهم الأعلى فيها، ومن أبرزها: «مهرجان جرش» السنوي بالأردن، و«مهرجان الجنادرية» بالسعودية.

هذا غير النوادي الأدبية المنتشرة في عدد من الدول العربية التي تروج للحداثة، وتعمق مفاهيمها المنحرفة.

جذور الحداثة ومصادرها:

١ - **الفلسفات اليونانية والرومانية**، وما انطوت عليه من عقائد، وأفكار وثنية، ومذاهب إباحية.

٢ - **العقيدة اليهودية والنصرانية**؛ إذ أن كثيرًا من الحداثيين تأثر بها، واتضح ذلك من أفكارهم وآدابهم وتجارب فلاسفتهم.

٣ - **الشيوعية المتضمنة للمادية الجدلية، والصراع بين المتناقضات**، وكثير من الحداثيين هم من أتباع هيجل، وانجلز، وماركس، وغيرهم.

٤ - **المذاهب الغربية** التي ثارت على الكنيسة، وتمردت على جميع الأديان.

٥ - **الفلسفة الوجودية**، ورائدها جان بول سارتر؛ حيث سلك سبيله كثير من الحداثيين، الذين دعوا إلى الفرار من الحياة عن طريق الأحلام والخيالات، وتقديس وجود الإنسان وذاته.

٦ - **عبادة العقل، أو الطبيعة، أو التجربة، أو**

الجنس، أو الذات، ونحو ذلك مما أفرزته الأزمات الفكرية، والسياسة، والنفسية، والاجتماعية التي عاشوها هناك، ثم إن عبادة تلك الأشياء لم تنجح في إسعاد المجتمع الغربي، فتولد من ذلك كله الحداثة الثائرة.

مصادر الحداثة العربية:

١) **الحداثة الغربية ومصادرها**: يقول الحداثي النصراني غالي شكري: «علاقتنا مع المدارس النقدية الغربية هي علاقة تلمذة، أكثر مما هي علاقة تأسيس».

٢) **الماركسية**: إن كثيرًا من الحداثيين العرب هم ماركسيون صريحون في إعتناقهم للفكر الماركسي، يقول فادي إسماعيل: «لقد قادت الحداثة والرغبة في الثورة؛ التي تضمنها الفكر العربي الحديث إلى تبني الماركسية، لقد أنقذت الماركسية أيديولوجية الحداثة من طابعها الفج المعادي بشكل ظاهر للمجتمع والجماعة، من خلال عدائها للتقاليد التي أصبح المجتمع رمزا لها، ووضعتها في سياق أيديولوجية عالمية إنسانية، فأصبحت الثورة على المجتمع ثورة للمجتمع».

٣) **الوجودية**: فالحداثيون يتلقون كثيرًا من أفكارهم من الوجودية؛ لأنها -كما يقولون-: «تمثل الإستجابة المباشرة لحاجة الإنسان المعاصر إلى إعادة النظر في مقومات وجوده، ثم محاولة تكييفها على شكل جديد بإرادته وإختياره».

٤) **الباطنية**: إن كثيرًا من الحداثيين هم باطنيون، فمثلًا: أدونيس -وهو من أوائل منظري الحداثة- نصيري باطني، كذلك يتضح أثر الباطنية في اهتمام الحداثيين بالثورات الباطنية، ورجال التصوف، وإبراز تلك الثورات باعتبارها اتجاهات تمردت على الثابت والمعروف في العقائد، والشرائع، والسياسات.

ولهذا؛ يكثر في كتاباتهم الدفاع والإشادة بالشيعة؛ التي يصفها أدونيس بتلك الفرقة المضطهدة والفقيرة، بينما يصف ثورة الزنج وأعمال القرامطة بأنها حركات ثورية مضيئة؛ أصدرها الشيعة خلال التأريخ المظلم.

ولايقف الأمر على هذا، بل يستمدون بعض أصولهم من أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد، أمثال: ابن عربي، والحلاج، وكل حركات الزندقة، والشعوبية، والخلاعة، والمجون في التاريخ الإسلامي، فمن ابن عربي تستمد الحيرة، والقلق، والاضطراب عند الحداثي.

الأصول والمبادئ (أسس الحداثة):

١ - حرية التفكير المطلقة في البحث والتعبير:

حيث اتفقوا بأنه لاحداثة بدون حرية، ولتلك الحرية - عندهم- مفهوم خاص، ولها دلالة تخالف مفهوم الحرية التي شرعها الإسلام.

يحدد «كانت» طبيعة تلك الحرية التي جعلوها شرطًا للتنوير والحداثة بأنها «حرية العقل والتفكير من سلطة المقدس، ورجال الكهنوت والكنيسة، وأصنام العقل»، ومن هنا أصبحت حريتهم مصدرا للقلق والاضطراب؛ حيث عبثت بالأديان، والأخلاق، والأعراف السليمة، بالإضافة إلى انتهاك حقوق الإنسان، وإلغاء الفوارق بين الرجل والمرأة، وإباحة الشذوذ.

٢ - الصراع بين القديم والجديد:

يعمل الحداثيون على تغيير التراث؛ بمبادئه، وعقائده، وقيمه، إلى مبادئ، وعقائد، وقيم حديثة، ويقصدون بالتراث -هنا- ليس كل ماهو قديم على الإطلاق هكذا، ولكن يقصدون به: التراث الإسلامي؛ وعلى رأسه القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولكنه من باب الخداع اللفظي

يعممـون باسـتخدام لفـظ: «الـتراث» لسـهولة خـداع الجماهير المسلمة والنفاذ بينهم!

ويكشف ذلك: أنهم على النقيض من ذلك! فنجدهم يحتفـون بكـل الحركـات الثوريـة والسريـة، والفلسـفات المناوئة، والفرق العقدية المعارضة للإسلام في التاريخ الإسلامي، بما في ذلك تراث المراحل الوثنية والمسيحية التـي مـرت عـلى المشرق العـربي، كـما ينـادون بحتميـة التحـول عـن القـديم والمـاضي إلى الحـديث والمستقبل، ولكن كيف يكون هذا التحول؟ إنه يتم عبر طرق شتى، منهـا: مـا يسـمونه بـ: «تفجـير الثـورات»، وإخضـاع ذلـك القـديم لـ «العقلانيـة والديموقراطيـة»، و«إعـادة قـراءة» عقائده وقيمه بمنظور حداثي ثوري.

٣- الخروج على التقاليد والتجديد المستمر:

إلى أفكار ومواقف جديدة، ورؤي حديثة حول الإله، والإنسان، والكون.

٤ - رفض ما هو قديم وثابت:

فهـي تـرفض القـديم، والعقائـد، والشرائع؛ ومـا يصـدر عنها من قيم وأخلاق، وتسعى إلى إنشاء فلسفات جديدة بـدلًا عنهـا، وقـوانين وضـعية، وقـيم وتعـاليم بشريـة، تقـوم على أنقاض القديم.

أبرز الأفكار والأصول العقدية للحداثيين:

إن الحداثيين ليسوا سواء؛ أو في دركة واحدة، بل هـم في الواقـع في دركـات مختلفـة، ولا يلـزم أن قـول كـل واحد -مما ستأتي الإشارة إليه- هو قول كل حداثي على وجـه التعيـين، وإنـما يجمعهـم جميعًـا الأصـول السـابق ذكرها؛ كأصول جامعة، وقواعد كلية يؤمن بها الجميع:

١) رفـض مصـادر الـدين، والعقيـدة، وجميـع الغيبيات:

ويقصدون بمصادر الدين والعقيدة والغيبيات: القرآن الكـريم؛ بـما فيهـا السـنة النبويـة المطهـرة المتضـمنة لسـيرة النبـي ﷺ، في محاولـة دنيئـة لهـدم الـدين باسـم النقـد، ومحو الإسلام باسم الإبداع!

- **فـالقرآن الكـريم -عنـدهم-: ظـاهرة ليسـت فـوق النقد،** وليس له قداسة، ولا احترام؛ لأنه -في نظرهم- غير معصوم، **حيث يشككون في جمع القرآن الذي يعتبرونه أسطورة يجب مراجعتها، وبالتالي؛ لايصلح -عندهم- أن يكون مصدرا للتشريع.**

يقـول ويصرح أركـون بـأن القـرآن مجـازات عاليـة مثـل الأناجيـل؛ لا يمكـن أن تتحـول إلى قـوانين واضـحة وفعالـة، أو مبادئ قابلـة للتطبيق -﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف:٥]-.

وهنـاك فريـق مـنهم أظهـر حرصـه عـلى الـتراث والتمسك به، وادّعى الإيمان بالكتاب والسنة على أنهما مـن ضـمن الـتراث الحريصـين عليـه، مفـرقين بـين الـنص الديني والفكر الديني، في محاولة خبيثة لإقناع الناس لا شعوريًّا بالتخلي عن دينهم من خلال التدرج بهم، بزعم رفض الفكر الـديني عـلى أنـه بشري المصـدر، **أمـا الـنص الديني؛ فيجب تأويله تأويلًا جديدًا يتناسب مع الفلسفات الحداثية الجديدة، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تعطيل النص بعد تحريف معناه بدعوى التأويل،** وبالتـالي دعـوا إلى إبطـال كـل التفاسير السلفية، وإعـادة تأويـل (الحقيقـة: تحريف) الآيات القرآنية من جديد!

ولعـل كتابـات محمـد أحمـد خلـف الله، ونصر حامـد أبو زيد، ومحمد أركون تصب في هذا الجانب.

- **تعطيل السنة النبوية المطهرة:** استخدم الحداثيون سـلاحي: الإنكـار، والتشـكيك في السـنة النبويـة؛ حيـث

انصب جل اهتمامهم على الحكم على الأحاديث وفق مناهج وقواعد اخترعوها في قبول ورد الأحاديث، مكررين شبهات من سبقهم، أمثال: الشيخ محمد عبده، وأحمد أمين، ومحمد أبو رية، بحجة غير مناسبتها للفكر الحديث، أو زعم تصادمها مع العقل، أو أنها لم تخضع للتطور التاريخي؛ حسب نظريتهم الماركسية في التطور التاريخي.

ولهدم السنة من أساسها؛ فقد انصب جهدهم في التشكيك في الصحابة ﭫ، ومن تبعهم من حملة السنة ورواة الحديث وعلمائه، مشككين في عدالتهم، مطالبين بإعادة كتابة تاريخهم، وحتى السيرة النبوية لم تسلم من تخاريفهم؛ حيث ادعوا أنها حكايات شعبية، ورواتها وكتابها قاموا بأعتى عملية تدليس وتمويه في التاريخ.

- **نفي الإجماع والقياس**: قام الحداثيون بالطعن والتشكيك بالإجماع والقياس؛ بزعم أنهما من نتاج الفكر الديني، ولاعلاقة لهما بالنص الديني «الوحي».

٢) الإستهزاء بالله ورسله:

ثورة الحداثيين ليست تنظيرية فقط؛ بل تطبيقية عملية، فقد تجرأ الحداثيون على الله ﷻ، ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -، وعلى ماجاؤوا به من عقيدة وشرائع، فمنهم من أعلن إلحاده، وأنكر ربوبية الله -تعالى- على خلقه؛ حيث صرح بعضهم بأنه لا إبداع إلا مع نفي وجود الله -تعالى عن زندقتهم!-، ومنهم من لا ينكر وجود الرب وربوبيته على مذهب الربوبيين الغربيين الذين ظهروا في القرن الثامن عشر في انجلترا ردًّا على مذهب الإلحاد الصريح في محاولة للتوفيق بين المذهب الكنسي المتعصب والمذهب الإلحادي الصريح، ولكنه في الواقع إثبات أقرب إلى الإلحاد منه إلى الإثبات؛ حيث نفوا العلم المطلق، والقدرة المطلقة عن الله ﷻ!

وعبثهم كثير جدًّا، نختار منه قول حسن حنفي: «لا يوجد فرق بين كلام الله وكلام البشر».

ومن عبثهم قول أدونيس: «ومن هنا كان بناء عالم جديد يقتضي قتل الله نفسه مبدأ العلم القديم، وقتل الله نفسه مبدأ هذه الصورة هو الذي يسمح لنا بخلق عالم آخر، ذلك أن الإنسان لا يقدر بأن يخلق إلا إذا كانت له سلطته الكاملة، ولا تكون له هذه السلطة، إلا إذا قتل الكائن الذي سلبه إياها؛ أعني: الله»!!

٣) عقيدة القضاء والقدر:

ينكر الحداثيون القدر، يقول الإباحي الحداثي نزار قباني: «مشيئة الأقدار لا تراني.. أنا الذي أغير الأقدار». «الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني» (١/ ٩٥٤).

ويصرح الشيوعي الحداثي سميح القاسم بقوله: «ومشيئة الرحمن والأقدار بعض نفايات القرون». «ديوان سميح القاسم» (٣٢٣).

٤) عدم الإيمان بالغيبيات، والجن، والملائكة، وإنكار يوم القيامة، والبعث، والحساب:

يجمع الحداثي الملحد المصري علاء حامد في روايته «مسافر في عقل رجل» شتات عقائد الحداثيين بقوله: «الإنسان ليس سوى نظرية مادية بحتة، وجد بالصدفة، وسيموت بالصدفة، وبموته يصبح مجرد ذكرى في أروقة الحياة، فلا إله، ولا ثواب، ولا عقاب، ولا جنة، ولا نار، ولا جن أزرق ولا أحمر، ولاملائكة بيضاء أو خضراء تهفهف بأجنحتها، الرسل ليسوا سوى مجموعة من الدجالين، والأديان صناعة بشرية ذكية، والإنسان ابن الطبيعة؛ خالق نفسه، هو الأوحد، الأقوى، والأفضل،

والجبار، والمتكبر، وبالتالي فقد وجد بالصدفة، وسيفنى جنسه البشري -أيضًا- بالصدفة، وعلى البشرية في هذه الحالة الأخيرة أن تبدأ للمرة الثانية من نقطة الصفر، أي: من نقطة البداية، وقد يختلف شكل المخلوق القادم من الإنسان المندثر بعد فناء العالم» (ص ١٢٥).

٥) رفض الشريعة وأحكامها:

يأبى الحداثيون إلا أن يثوروا على كل موروث؛ حتى أن الفقه وأصوله وأحكامه لم تسلم من تمردهم وثورتهم، ولكنهم -كعادتهم- يبدأون في التدرج في النفي والإلغاء.

فحقيقة أمرهم: رفض الشريعة نهائيًّا، ويجعلونه شرطًا للتقدم والتحضر، ويؤيدون كل من يساعد في ذلك؛ حيث يؤيدون منكري السنة، في الوقت الذي يترحمون على صاحب الفكر الجمهوري محمود محمد طه، ويدعون انطلاقًا من نظريتهم التاريخية في تفسير النصوص بخصوص السبب لا بعموم اللفظ؛ على عكس القاعدة الأصولية في ذلك، فدعوا إلى تغيير أحكام الغسل والطهارة على أنها نزلت للبيئة الصحراوية؛ حيث ندرة المياه، والماء الآن متوفر، وكذلك أحكام الصلاة والصيام مع ظروف العمل والانتاج في العصر الحديث، وكذلك أحكام الزكاة بزعم تعارضها مع قوانين الضرائب، وإنكار مشروعية تعدد الزوجات، وحق المرأة في الميراث، والدعوة إلى إلغاء كل الحدود الشرعية على زعم أنها أوضاع اجتماعية، ودعوة المجتمعات إلى سن قوانين وضعية تتناسب مع ظروفها وتتطور مع أوضاعها التاريخية، وسن قوانين اجتماعية بمعزل عن الدين وخارجه، ونزع صفة القداسة عن الفقه بدعوى أنه عمل بشري، **من خلال الأصل الذي أصّلوهُ، ثم أرادوا محاكمة النصوص عليه، بقولهم ببشرية النص الديني، ومن هنا كان مدخلهم لتحريف ورفض الأحكام الشرعية.**

٦) الثورة على السلطات الحاكمة:

من الأسس الرئيسة للحداثة: الثورة والتمرد على كل الأنظمة والحكومات العربية التي لا تدين بالحداثة مذهبًا؛ وبخاصة تلك السلطات التي تحكم النص الديني، يقول أدونيس: «إن نقد الوحي هو شرط لكل تقدم، وقبل أن يتحرر الإنسان في الدولة الدينية؛ لا بد أن تتحرر الدولة ذاتها من الدين... والازدهار لا يقتصر على الدولة، أو على الدين العام، بل يجب أن يزال الدين الخاص -أيضًا-، أي: دين الفرد ذاته». «الثابت والمتحول» (١/ ٨٩ -٩٠).

وتعد الحكومات الماركسية والبعثية أقرب الحكومات إليهم؛ للتقارب الفكري الكبير بينهم.

٧) الدعوة إلى تحرير المرأة:

يبذل الحداثيون جهدًا كبيرًا في الدعوة لخروج المرأة عن عفافها؛ تحت دعوى: تحريرها من أحكام الشريعة، وقيد النصوص الشرعية، ورفض كل الأحكام المتعلقة بها؛ تمهيدًا لتفكيك الأسرة كنواة ضامنة لقوة تماسك وسلامة المجتمع من الفوضى والاضطراب؛ التي قامت عليها الحداثة، وتخلصًا من الأحكام التي تطاردهم جراء فجورهم وانحلالهم.

ويربط حسن حنفي بين نجاح عملية تحرير المرأة -حسب مفهومهم-، وبين الالتزام بقواعد الحداثة الأخرى؛ من ضرورة التخلص من المفهوم الإسلامي للعقيدة في الله -تعالى-، بقوله في ندوة «الإسلام والحداثة» بلندن عام (١٩٨٩م): «إن العالم مقسوم إلى قسمين: الله، والعالم، فينعكس ذلك حتمًا في المجتمع؛

على السلطان، على الحاكم والمحكوم، وسينعكس في الأسرة على الرجل والمرأة، والسؤال الموجه لك هو: أن هناك ثلاثة اختيارات: اختيار حركة تحرير المرأة؛ في البداية لتحرير المرأة من الرجل، وهناك المثقف العلماني الذي يبدأ بتغيير النظام السياسي، وهناك الذي يحاول تثوير الدين، وما لم نقضِ على هذا التصور الثنائي للعالم ورؤية العالم بين حاكم ومحكوم، وعلى المستوى الديني بين خالق ومخلوق؛ فلن تستطيع حركات تحرير المرأة أن تفعل شيئًا، ولن يستطيع المثقف العلماني أن يؤدي دوره مالم نقض على هذا التصور، هذا السؤال الأول في آليات التغيير».

٨) إلغاء اللغة العربية ومحاربتها:

جعل الحداثيون من أهم أولوياتهم: القضاء على اللغة العربية، واستبدالها إما بالحرف اللاتيني، أو بالعامية المحكية، مع تدمير النحو، والإعراب، والعبث باللغة وألفاظها؛ لأنها أوعية تحمل مضامين تخالف مذهبهم، ولذلك يعتبرونها من أكبر معوقات تمكين وانتشار الحداثة في المجتمعات الإسلامية، ولذا يصفونها بأنها لغة نائمة منغلقة متخشبة؛ على حد قول أركون الذي يطالب بتفجيرها.

ومن هنا يعودون بشعوبية جديدة تمجد أشخاص الشعوبية القديمة، يقول نزار قباني:

إياك أن تقرأ حرفًا من كتابات العرب
فحربهم إشاعة وسيفهم خشب
وعشقهم خيانة ووعدهم كذب
إياك أن تسمع حرفًا من خطابات العرب
فكلها نحو وصرف وأدب
ليس في معاجم الأقوام
قوم اسمهم عرب

والخلاصة:

يقدم الدكتور محمد مصطفى هداره رحمه الله خلاصة القول في الحداثة -وهو الخبير بأغوارها، ورموزها- بقوله: «الحداثة: اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية، والعلمانية، والماركسية، وكل ماعرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة، وذلك لأنها تتضمن كل هذه المذاهب والاتجاهات، وهي لا تخص مجالات الإبداع الفني أو النقد الأدبي، ولكنها تعم الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على السواء».

وهذه حقيقة، فالمتأمل في الأسماء السابق ذكرها واتجاهاتهم الفكرية؛ يجد أنها جمعت بين العقلاني الذي يؤله العقل، والعلماني الذي يحجم دور الدين، والمادي الذي لا يؤمن إلا بالمحسوس، والوجودي الذي يؤله الإنسان.

فقد اختلفوا في مشاربهم الفكرية، ولكنهم اتفقوا -جميعًا- على بغض الإسلام، والعمل على حربه؛ عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، وأخلاقًا.

وإذا ما دققت في رموز الحداثيين؛ وجدت أن أكثرهم من الفرس، أو الديلم، أو اليهود، أو الأقليات الأخرى، وأن عقدة الأقلية وراء محاولة تدميرهم وتفجيرهم اللغة العربية، ودعوتهم لاعتماد اللهجة العامية واللهجة المحكية بدلًا منها، لأن اللغة العربية انتماء وهوية قبل كل شيء.

وإن كانت السلفية -بمعناها العام- هي عدوهم التقليدي، فإن السلفية -بمعناها الخاص-؛ الذي يعبرون عنه -دائمًا- بمدرسة ابن تيمية هي عدوهم الأول، وحجر العثرة في طريق تحقيق حلمهم، يقول

الحداثي حسن طلب في مجلة إبداع:

هجموا، وقد أحفوا شواربهم

وزادوا في اللحى طولًا

فزادتهم نكالًا

إنهم يستبدلون الآن: عاهات

وآمالًا موظفة، ووجهًا كالحًا وغبار تاريخ

وجيش منقبات خلف دجال مسيه

وآلهة مسيسة ونهرًا مالحًا -يقصد: الشريعة الإسلامية-

أقسمت بالملك

وبالنور والحلك

وبدورة الفلك أن أستعيد لك يا نيل منزلك

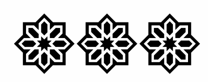
ولذلك جعلوا جل اهتمامهم : القبض على زمام الأمور السياسية، والثقافية، والتعليمية، والإعلامية؛ كوسائل للتأثير، فعن طريقها استطاعوا التغلغل في المجتمعات الإسلامية، وإدارة دفة السلطة حسب توجهاتهم.

ففي إندونيسيا تم تقرير تدريس الفكر الحداثي ضمن المقررات الدراسية في (٥١١) جامعة إسلامية حكومية؛ من خلال كتابات نصر حامد أبو زيد، ومحمد أركون، ومحمد عابد الجابري، وغيرهم.

والمراقب يجد من آثار ذلك -أيضًا-: انتفاش وسعار الحركات والدعوات النسوية؛ وبخاصة في الدول العربية، حيث السباق المحموم بينها في تنفيذ تلك الدعوات الحداثية؛ من سن قوانين لتدمير الأسرة تحت دعوى: تحرير المرأة، أو قانون الطفل، كما حدث في المدونة المغربية، أو قانون الأحوال الشخصية التونسي، أو محاولة إشاعة الزواج المدني في لبنان، أو المحاولة الأخيرة لدق المسمار الأخير في نعش أحكام الشريعة الإسلامية في مصر؛ من خلال التعديل الأخير المرتقب للأحوال الشخصية.

للاستزادة:

- «الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والحركات المعاصرة»، (الندوة العالمية للشباب الإسلامي).
- «الحداثة في العالم العربي.. دراسة عقدية»، محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي «مخطوط».
- «الحداثة في ميزان الإسلام»، الشيخ عوض القرني.
- «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها.. دراسة نقدية شرعية»، د. ناصر بن سعيد الغامدي.
- «الحداثة والتراث»، د. محمد مصطفى هدارة، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات).
- «الحداثة عبر التاريخ»، حنا عبود.
- «ثقافة الضرار»، جمال سلطان.





الفاطميون يضيعون القدس وصلاح الدين يحرّرها

هيثم الكسواني

لصلاح الدين الأيوبي رحمه الله **مكانة كبيرة في نفوس المسلمين**، لم يَمحها أو يقلل منها مرور السنوات، لارتباط اسمه -بشكل خاص- بتحرير القدس من براثن الصليبيين، وإعادة هذا المكان المقدس إلى المسلمين بعد أكثر من (٩٠) عامًا من احتلاله.

يكاد دور صلاح الدين في تحرير القدس، وبطولاته ضد الصليبيين تكون معروفة لجميع المسلمين، لكن ما يغيب عن معظمهم هو: أن سقوط القدس بيد الصليبيين كان بالأساس نتيجة تواطؤ الدولة العبيدية الفاطمية؛ صاحبة المذهب الشيعي الإسماعيلي.



وقد حكمت هذه الدولة أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي، منها: مصر، والمغرب العربي، وبلاد الشام، والحجاز.

تقول التفاصيل: إنه في سنة (٤٩١هـ - ١٠٩٨م) تمكن الصليبيون من تأسيس أول إمارة لهم في الشرق الأدنى الإسلامي، وهي إمارة الرها (بين الموصل والشام).

ثم استطاعوا في نفس العام تأسيس إمارتهم الثانية، وهي إمارة أنطاكية (شمال غرب سورية)، رغم المقاومة التي أبداها السلاجقة، الذين كانوا يحكمون -آنذاك- شمال بلاد الشام.

كانت الدولة العبيدية الفاطمية تراقب الوضع عن كثب؛ لا لنصرة المسلمين، أو تقديم العون للسلاجقة للتصدي للصليبيين؛ إنما كانت المراقبة لأمر آخر!! يقول د. محمد طقوش: «في الوقت الذي وصلت فيه طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، كان الفاطميون منهمكين بسوء أوضاعهم الداخلية السياسية والاقتصادية، وتحكّمت فيهم روح العداء للسلاجقة في بلاد الشام، لذلك لم يتحمسوا -آنذاك- لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، وربما رأى بعض أركان الدولة في هؤلاء درعًا يحميهم من خطر السلاجقة»[(١)].

كان على رأس الدولة الفاطمية -آنذاك- المستعلي بالله، وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي هو صاحب السلطة الفعلية في الدولة، إذ أن الدولة الفاطمية عاشت سنوات طويلة في ظل تسلط الوزراء، وسيطرتهم

(١) «تاريخ الفاطميين» (ص ٤٢٧).

على مقاليد الأمور.

أثار موقف «الأفضل» من حصار الصليبيين لأنطاكيا وتخاذله عن نجدة المسلمين فيها استياء المسلمين؛ بمن فيهم المؤرخون الذين يميلون في العادة إلى تسجيل الوقائع والأحداث بشكل مجرد؛ دون التعليق أو إبداء الرأي.

لكن التقاعس والتخاذل بلغ حدًّا جعل المؤرخ المصري ابن تغري بردي يقول: «ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخراجه! مع قدرته على المال والرجال»[1].

ويشرح ابن تغري بردي كيف خرجت عساكر المسلمين في العراق وبلاد الشام لصد زحف الصليبيين: «كل ذلك؛ وعساكر مصر لم تُهيّأ للخروج»[2].

و«**لم يكتف الأفضل بهذا، ولم يقف عند هذا الحد**، وبدلًا من أن يجيّش الجيوش لصد المعتدين؛ أرسل سفارة إلى الصليبيين، بينما كانوا يحاصرون أنطاكية، وتفيد بعض المصادر الصليبية بأن الأفضل عندما رأى حصارهم لأنطاكية قد طال، خاف من أن يتسرب الضعف والملل إلى نفوس الصليبيين، لذا أرسل إليهم سفارة ترجو قادتهم مواصلة الحصار، وأكد لهم أنه سيساعدهم بالإمدادات العسكرية والمواد الغذائية، وكلّف سفراء مخصوصين بالعمل على كسب قلوب قادة الصليبيين»[3].

وبشيء من الأسى! يقول الأستاذ جمال بدوي: «لم يجد الفاطميون في الانتصارات التي أحرزها الصليبيون في آسيا الصغرى وإنطاكية كارثة عامة حلّت بالمسلمين، وإنما وجدوا فيها أمنية عزيزة هي: تخليص الشرق الأدنى من سيطرة الأتراك السنيين»[4].

لم يكتفِ الفاطميون ووزيرهم الأفضل الجمالي بموقف المتفرج، ولا عرض التحالف مع الصليبيين ضد السلاجقة والمسلمين السنة، إنما وجهوا طعناتهم إلى السلاجقة باحتلال عدد من المدن التي بحوزتهم؛ وعلى رأسها: صور والقدس، أي: أن الأفضل بدلًا من أن يوجه جنوده وقواته إلى محاربة الصليبيين؛ وجّهها إلى قتال السلاجقة الذين كانوا منهمكين في قتال الصليبيين، والدفاع عن المدن الإسلامية!

ويقول د. طقوش: «بالإضافة إلى مشروع التحالف الذي عرضه الأفضل على الصليبيين، فقد استغل فرصة انهماك السلاجقة بالتصدي للزحف الصليبي في شمال بلاد الشام؛ فنهض لاستعادة نفوذ الفاطميين في جنوب بلاد الشام، ظنًّا منه أنه بات من اليسير تحقيق مكاسب سريعة على حساب السلاجقة»[5].

استطاع الأفضل احتلال صور في سنة (٤٩٠هـ - ١٠٩٧م)، ولم يحاول أن يهاجم بيت المقدس؛ وترك ذلك لفرصة أخرى، «وحانت هذه الفرصة في شهر (رمضان ٤٩١هـ - ١٠٩٨م)، والصليبيون ما يزالون في انطاكية، فخرج من مصر على رأس جيش كثيف، ونزل على بيت المقدس وحاصره، وفيه الأميران: سكمان وإيلغازي؛ ابنا ارتق بن أكسب، فرَاسَلهما يلتمس منهما

(١) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٥/ ١٤٧ - ١٤٨).

(٢) المصدر السابق (٥/ ١٤٧ - ١٤٨).

(٣) «أثر الحركات الباطنية» (ص ١٤٠).

(٤) «الفاطمية» (ص ١٤٢).

(٥) «تاريخ الفاطميين» (ص ٤٢٩).

تسليم بيت المقدس إليه دون قتال.

فامتنعا في بادئ الأمر عن إجابة طلبه، وتحصّنا وراء أسوار المدينة، إذ علما أن دقاقًا (حاكم دمشق) ليس بوسعه أن يبادر بالنهوض إلى مساعدتهما... ومع أن جيش الأفضل تجهّز بأحدث آلات الحصار، من بينها أربعين منجنيقًا.

فإن الأراتقة ظلوا يقاومون الحصار مدة أربعين يومًا، ولم يرغمهم على الاستسلام إلّا ما حدث من تدمير الأسوار، ودخل الأفضل إلى بيت المقدس واستولى عليه...» [1].

«**في هذا الوقت** كانت الجيوش الصليبية في طريقها إلى القدس، فلم ينتظر الأفضل وصولها؛ أو حتى التصدي لها، بل عاد لتوّه إلى القاهرة» [2].

ويؤكد الباحث الأستاذ يوسف إبراهيم: أن الدولة الفاطمية كانت على علمٍ بأهداف الصليبيين وخطّ سيرهم؛ حتى قبل وصولهم إلى أراضي الدولة البيزنطية، فقد بلغ الصليبيون أهدافهم، وأمير جيوش الدولة الفاطمية خامل متردد حائر، فرماه بعض المؤرخين بالخيانة.

وينقل الباحث عن ابن الأثير «الكامل في التاريخ» قوله: «إن أصحاب مصر من العلويين (الفاطميين) لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلائها على بلاد الشام إلى غزّة، ولم يبقَ بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم، ودخول الأقسيس إلى مصر وحصرها، فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه» [3].

بدأ الصليبيون يزحفون تجاه بيت المقدس، مدفوعين بنشوة انتصاراتهم، غير آبهين بما اتفقوا عليه مع الأفضل، ويستولون على المدن والقرى التي في طريقهم، «عندئذ أفاق الأفضل من سكرته، ووجد أنه سيكون وجهًا لوجه أمام أصدقاء الأمس وأعداء الغد، ولا مناص من الصدام بينهما.

ولكن الأفضل اكتشف الحقيقة المرة بعد فوات الأوان، وبينما الصليبيون في طرابلس -في طريقهم إلى القدس- بعث إليهم بسفارة ثانية محمّلة بهدايا وأموال هائلة تفوق ما حملته السفارة الأولى.

كما أن العرض الجديد يختلف عن العرض السابق، وفحواه: أن يمتنع الصليبيون عن دخول القدس، على أن يتعهد الفاطميون بالسماح للحجاج المسيحيين بالوصول إلى الأماكن المقدسة في شكل مجموعات صغيرة تتراوح ما بين مائتين وثلاثمائة حاج، بشرط أن يكونوا منزوعي السلاح، ولكنّ الصليبيين ردّوا عليه بأنهم سيتمكنون من الحج فعلًا، ولكن بمعونة الله، ومن دون وصاية من أحد» [4].

توجّه الصليبيون إلى القدس، وحاصروها مدة أربعين يومًا، لم تصل خلالها إمدادات من الأفضل للحامية الفاطمية في المدينة.

وتؤكد المصادر التاريخية: أن الصليبيين خلال حصارهم للقدس واجهتهم مشاكل كثيرة، منها: الاستعدادات التي اتخذها حاكم المدينة الفاطمي افتخار

(١) «تاريخ الفاطميين» (ص ٤٣٠).
(٢) «أثر الحركات الباطنية» (ص ١٤٢ - ١٤٣).
(٣) المصدر السابق (ص ١٤٣ - ١٤٤).
(٤) «الفاطمية» (ص ١٤٥).

الدولة، وصعوبة تأمين المياه، وارتفاع الحرارة، وحدوث خلاف بين الصليبيين حول مصير بيت المقدس.

ورغم هذه الصعوبات؛ إلّا أن الصليبيين استطاعوا اقتحام القدس في (٢٣ شعبان) سنة (٤٩٢هـ - ١٥ / ١٠٩٩/٧م) وارتكبوا مذبحة مروّعة، قتلوا فيها سبعين ألفًا من المسلمين، «واحتمى افتخار الدولة مع طائفة من الجند بمحراب داود؛ حيث اعتصموا به، وقاتلوا ثلاثة أيام.

ولكنهم لم يلبثوا أن ألقوا السلاح بعد أن بذل لهم الصليبيون الأمان، ثم أطلقوا سراحهم، وسمحوا لهم بالخروج إلى عسقلان، فكانوا الفئة الوحيدة من مسلمي بيت المقدس التي نجت من وحشية الصليبيين»[(١)].

يقول ابن تغري بردي: «والعجيب أن الفرنج لمّا خرجوا إلى المسلمين كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القوت، حتى أنهم أكلوا الميتة.

وكانت عساكر الإسلام (أي: قوات الفاطميين) في غاية القوة، والكثرة، فكسروا (أي: الصليبيون) المسلمين، ومزقوا جموعهم».

ويصف الأستاذ بدوي رد فعل الأفضل الجمالي ودولته الفاطمية، على كارثة احتلال القدس، فيقول: «أما الدولة الفاطمية؛ فقد تلقت أخبار النكبة في برود، وظلت تغط في سباتها العميق، وحاول الوزير الأفضل أن يفعل شيئًا يمحو به عار التواطؤ الذي أدّى إلى الكارثة، فلمّا بلغه سير الصليبيين نحو القدس، جمع رجاله وخرج إلى فلسطين على أمل أن يحول بين الصليبيين وبين دخولهم القدس، ولكنه وصل إلى عسقلان في يوم (٤ أغسطس)، أي: بعد عشرين يومًا من استيلاء الصليبيين على القدس.

وهكذا أصيب الأفضل بخيبة أمل كبيرة بعد أن اعتقد في وقت ما أن الصليبيين سيقنعون باحتلال شمال سوريا، ويحرصون على صداقة الفاطميين بوصفهم حلفاءهم الطبيعيين ضد الأتراك السلاجقة.

ولم يسَع الأفضل عند وصوله إلى عسقلان سوى أن يرسل رسولًا إلى الفرنج يوبخهم على ما فعلوا -على حد تعبير المؤرخ ابن ميسر-، ولم يكن أحق بالتوبيخ من الأفضل نفسه، الذي جمع بين سوء النيّة، وضعف التدبير»[(٢)].

وهكذا ظلّت القدس بيد الصليبيين؛ نتيجة تواطؤ الفاطميين العبيديين، إلى أن قيّض الله لهذه المدينة بطلًا من أبطال المسلمين، هو: صلاح الدين الأيوبي، تمكّن في سنة (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) من تحريرها في معركة حطين، وإصلاح ما قام به العبيديون من خيانة وتخاذل.

للاستزادة:

١ - «النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة»، ابن تغري بردي.

٢ - «تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقية ومصر وبلاد الشام»، د. محمد سهيل طقوش.

٣ - «أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين»، يوسف الشيخ عيد.

٤ - «الفاطمية دولة التفاريح والتباريح»، جمال بدوي.

---

(١) «تاريخ الفاطميين» (ص ٤٣٧) نقلًا عن «الكامل» لابن الأثير.

(٢) «الفاطمية» لجمال بدوي.



مُحرّكات السياسة الفارسيّة في المنطقة
-الحلقة الرابعة والأخيرة-

الأستاذ عادل علي عبد الله[1]

[**هذه دراسة قيمة**، تتناول خلفيات ودوافع السياسة الإيرانية -وسوف تصدر قريبًا-، آثرنا نشرها على حلقات لقراء «**الراصد**»؛ حرصًا على تقديم كل جديد ونافع.

ونحن نرحب بتعليقات القراء الكرام وتعقيباتهم حول ما طرحته هذه الدراسة من أفكار ونتائج] «**الراصد**»

ثالثًا: البُعد الإستراتيجي المَصلحي:

لا يُخفِي أيُّ معاصرٍ للثورة الخمينية أو مُراقبٍ للنشاط السياسي الإيراني: إعجابَه بذكاء الإيرانيين، وحصافتهم، وصلابتهم، وهذا شأن الأمم التي تريدُ النهوضَ والتقدم، وهو شأن أيِّ أُمةٍ تَعتدُّ بماضيها، وتعتبرُه مَصدَرَ إلهام لمستقبلها؛ فلقد وَظَّفَتْ إيرانُ الثوريةُ كُلَّ طاقاتها -كدولة ثيوقراطية (=دينية)- لخدمة أيديولوجيتها وأهدافها التي تؤمن بها؛ حتى لو انتهجت البراغماتية الميكيافيلية.

صحيحٌ أن المؤسسين الأوائل -وعلى رأسهم الخميني- استفادوا من الفكر التنظيمي الإخواني -الذي عكف السيد علي خامنئي على ترجمة كتب وأفكار الإخوان[2]-، لكنهم استفادوا أكثر من المنهجية الصهيونية في عملية الصراع من أجل البقاء، والإبقاء على قوتهم ونفوذهم في مُحيطٍ سياسي عَدَائي مُتحفِّز، وليس هذا عيبا لأي أمة تستنسخ منهجيةَ عَدُوِّها في النهوض والتسيُّد؛ خدمةً لأهدافٍ أسمى تعتقدها.

وإن أعلى الدُوَلِ شأنًا وأقواها شوكةً وأصلبَها عُودًا تلك التي تتأسس على عقيدةٍ تَشُدُّ من قوتها، وتَشحذُ هِمَّةَ أفرادها، وتُحيل المجتمعَ -كُلَّهُ- إلى تسيجٍ مُتجانس يتحركُ بإيقاع واحد.. وهذا ما فعلته إيران بكل جدارة واقتدار.

تزخر المكتبة العربية والأجنبية والمواقع الإلكترونية بوثائقَ ومدونات عن خطط وأجندات؛ وَضَعَتها حكومةُ ملالي قُمّ، لكن -على الرغم من الجدال الدائر حولها نفيًا وإثباتًا- كُلَّها تَصبُّ فيما قيل (أي: أن المسألة ليست هنا منطقًا وتحليلًا، بل تحسسًا لشواهد واقع، وتتبعًا لتاريخ)، فالسياسة -في عالم اليوم- لا تخدمُ الضعيفَ، ولا ترحَمُ القويَ، فما الظن بدولة ترى أن الواجبَ الديني يُحتِّمُ عليها التمهيدَ لخروج خليفةِ الأرض المنتظر؛ الذي سيملأ الأرض عَدلًا بعدما مُلئت جَورًا، ويُقيمُ دولةَ آل البيت -رضي الله عنهم أجمعين-؛ التي طال انتظارُها لأكثر من ألفٍ وأربعمائة سنة، ويُصحح خيانة الشَّيخين (أبي بكر وعمر) الأولى بسلب حقِّ الإمامة من علي بن أبي طالب، وتآمر العرب (أكثر الصحابة) على ذلك الظلم.

ولعل البُعد المصلحي في الإستراتيجية الإيرانية اليوم يقترن بالوجود الأمريكي ونفوذه في المنطقة، فمعلوم أن للنظام الإيراني وجهين سياسيين في تعامله مع

---

(١) كاتب وباحث بحريني.

(٢) انظر سيرة علي خامنئي على موسوعة: www .wikipedia.com

القضايا المُلحة: وجه للثورة، وآخر للسياسة، يخضع الثاني للأول حتمًا، فسياسة إيران الخارجية تتسم بالبراغماتية، ومرونة مدهشة مع فن بارع في استثمار الوقت لصالحها في أي مفاوضات تخوضها، في حين تتسم سياستها الداخلية بالتزمُّت والتخشُّب المِفصَلي؛ إلى درجة تدعو للاستغراب، وخاصة أنها ترتكز على عامل الإدهاش في المواقف والعاطفة الدينية؛ لكسب تعاطف العالم الإسلامي، لكن وثيقة واحدة كفيلة بعامل إدهاش منقطع النظير، تكشفت فصولها في المرحلة الحالية في اللعب مع إدارة المحافظين الجدد الأمريكية.

محاولة فهم للتقارب الإيراني الأمريكي:

إن إيران لا تستطيع تجاوز هذه الضرورة الحيوية لبقائها -كدولة لها وزنها الإقليمي، وبُعدها العقائدي-، ومن ثم تصبح مسألة التقارب مع الغرب إحدى ضرورات السياسة الإستراتيجية لا التكتيكية في السياسة الإيرانية.

ولهذه السياسة دوافعها المنطقية التي يفقهها الجانبان:

١ - أهمية إيران الإستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة؛ فهي من أكبر دول المنطقة سكانًا؛ فضلًا عن كونها دولة نفطية كبيرة تملك ثاني أكبر احتياطي للغاز الطبيعي في العالم، كما تتزايد هذه الأهمية بالنظر إلى الأهمية المتزايدة لنفط بحر قزوين ووسط آسيا، في ضوء التقدير الأمريكي الرسمي لاحتياجات العالم من البترول؛ الذي يتوقع أن يرتفع الطلب العالمي عليه (من ٧٣ مليون برميل يوميا عام ١٩٩٧م إلى ١٠٥ ملايين برميل يوميًّا في عام ٢٠١٥م)، سيكون استهلاك الولايات المتحدة منه (١٨) مليون برميل يوميًّا، ويُعد الطريق الذي يَمُرُّ بإيران - لنقل هذا البترول إلى الخارج- من أقل الطرق تكلفة من الناحية الاقتصادية، هذا من ناحية.

من ناحية أخرى: تدرك إيران أن الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في العالم -حتى الآن-، وبالتالي؛ فإن موقعها الدولي والإقليمي سيواجه صعوبات كبيرة في ظل القطيعة الأمريكية المعلنة، فالولايات المتحدة مَعبَرٌ إلزامي في الطريق إلى مجلس الأمن وصندوق النقد الدولي وصولًا إلى مرور أنابيب النفط، كما أنها تتحكم في ممرات مهمة لنقل التكنولوجيا المطلوبة بشدة لمشروعات التنمية، وخطط التسليح الوطنية؛ وقد تأكد ذلك بعد نجاح ضغوطها -إلى حَدٍّ ما- على روسيا والصين؛ لتقليل التعاون التكنولوجي والنووي مع إيران.

٢ - عدم تحقيق السياسات السابقة للدولتين تجاه بعضهما البعض لأهدافها، فقد أخفقت السياسة الأمريكية (ربما كان المراد لها الإخفاق) في ضرب الثورة الإسلامية عسكريًّا من خلال دعمها للعراق، كما أخفقت في الحظر الاقتصادي عليها، بدليل أن إيران حققت مستويات تنمية عالية خلال سنوات الحصار وبقدرات ذاتية، واستطاعت أن تخترق هذا الحصار الاقتصادي أوربيًّا وآسيويًّا.

كما أخفقت الولايات المتحدة -أيضًا- في نهج العزل السياسي لإيران، وانهارت سياسة الاحتواء المزدوج، ولعل من الأمثلة على ذلك: الحضور غير المتوقع من جانب الدول الإسلامية والعربية للقمة الإسلامية التي عقدت في طهران في أواخر عام (١٩٩٧)، والذي مثل إشارة على سقوط عزلة إيران.

وإذا ما أضيف إلى ذلك: التطورات الإيجابية التي حدثت في علاقات إيران بدول الخليج العربي في الآونة

الأخيرة، وقيامها بتوقيع اتفاقيات تعاون متعددة الجوانب؛ يمكن تصور مدى إخفاق هذه السياسة.

ومن ناحية أخرى: لم تفلح الجهود الإيرانية التي أعقبت قيام ثورتها الإسلامية في سعيها لإرضاء عقيدتها التاريخية للسيطرة ومد النفوذ، تارة تحت شعار «تصدير الثورة»، وتارة تحت شعار «نصرة المستضعفين» في لبنان وفلسطين وغيرهما، وبدأت تتبين أنه لا مناص من اتباع سياسة براغماتية تأخذ في اعتبارها المصالح الحيوية للغرب والولايات المتحدة ودورهما في المنطقة، وتغيير النمط الوحيد لتصدير الثورة.

٣- أصبحت الولايات المتحدة تدرك أن إستراتيجيتها للسيطرة على مناطق الطاقة في الخليج وآسيا الوسطى ستظل تفتقر إلى الاستقرار في غياب التفاهم مع إيران وحفظ دورها الإقليمي بذِرَاعَيه الغربي (في الخليج والعراق)، والشرقي الشمالي (في آسيا الوسطى)، فمن جهة لم تُثبت تركيا قدرتها على حسم الوضع في شمال العراق إلى الآن، بعيدًا عن أي دور لطهرانَ ودمشق، كما لم تستطع قطع أوصال التحالف بين إيران وسوريا وإضعاف الأخيرة، بما يجعلها تتقبل السياسة الإسرائيلية في التسوية الشرق الأوسطية المأزومة، كما لم تثبت تركيا قدرتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية على إدخال الجمهوريات الإسلامية السوفيتية السابقة تحت جناحيها.

ومن جهة أخرى: لم تثبت باكستان قدرتها -أيضًا- على حسم الأوضاع في أفغانستان ووزيرستان؛ حتى بعد تنصيب زرداري، وإسقاط مُشرَّف.

وعلى الجانب الآخر: تشعر إيران بحاجتها إلى التنسيق مع الولايات المتحدة بشأن إقليم ناجورنوكارباخ المُتَنَازَع عليه بين أذربيجان وأرمينيا؛ لتأثيره الشديد على الأوضاع الداخلية في إيران، فالولايات المتحدة تدعم الأذريين، الأمر الذي من شأنه أن يحُقق انتصارَهم، وهو ما تخشاه إيران، لأن هذا الانتصار من شأنه إشعال الحمى القومية بين الأذريين المقيمين في إيران (نسبة إلى أذربيجان)؛ والذين يَبلغ عددهم (١٥) مليونًا -تقريبًا-، ويشكلون حوالي (٢٥%) من السكان، وهو ما قد يكون شرارة تهدد بتفكك الدولة الإيرانية المكتظة بالقوميات والإثنيات المختلفة.

٤- إن إيران تعاني وضعًا اقتصاديًّا مُتدهورا نَتَجَ عن الهبوط الحاد في أسعار النفط فترة التسعينيات، وصلت إلى معدلات تاريخية لم يَسبق لها مثيل من الانخفاض؛ حيث هبط سعر البرميل من (٢٢) دولارًا في (أغسطس) إلى أقل من (١٤) دولارًا في (أكتوبر)، وإلى أقل من (١٠) دولارات في (ديسمبر ٩٨م)؛ مما أدى إلى الإضرار الشديد بالاقتصاد الإيراني، ولا تكفي الشراكة التجارية مع أوروبا واليابان فقط لإنقاذ اقتصادها وسداد ديونها، وسيكون التقارب مع الولايات المتحدة مفيدًا لإيران؛ سواء في توفير الاستثمارات اللازمة لإحداث التنمية فيها، أو التنسيق بشأن تحديد سعر عادل للبترول؛ الذي لعبت بورقته في تكتيكاتها السياسية عندما لوحت أمريكا إلى إمكانية توجيه ضربة عسكرية تكتيكية منتصف (٢٠٠٧)، فردت إيران بضربات تكتيكية سياسية، وكثفت حملة تصريحاتها بتوجيه صواريخها إلى مصافي النفط الخليجية، وتحريك خلاياها النائمة «ميليشيات» هناك، والتهديد بغلق مضيق هرمز في وجه ناقلات النفط، فقفز سعر برميل النفط صيف (٢٠٠٨) إلى أكثر من (١٥٠) دولارًا للبرميل.

٥ - لإيران والولايات المتحدة مصالح متوازية في المساعدة على إعادة الاستقرار في أفغانستان والعراق، وخاصة أن إيران أحسنت استثمار حماقات إدارة بوش في حربها العسكرية على البلدين، فقدمت لها التسهيلات الضرورية أولًا، ومن ثم تغلغلت مخابراتها وميليشياتها في قلب العمل العسكري، ومن ثم السياسي، ما حوَّلها إلى رقم يصعب تجاوزه في أي تسوية تريد أمريكا التعاطي معها.

كما تعرف إيران من جهتها أن اليد العليا في هذين الإقليمين للولايات المتحدة، وقد أهدرت المليارات لوضع اليد عليهما، ولا يمكن البتة التنازل عنها لعيون إيران، أو الرضوخ لتهديداتها المتكررة، وخاصة مع عدم استقرار الإقليمين وتحوُّل إيران إلى عامل فشل لا نصر في الأجندة الأمريكية العسكرية.

فرصة اقتسام السلطة في الخليج:

إن بوادر اقتسام السلطة (سياسية، عسكرية) الفعلية في الخليج بين الأمريكان والإيرانيين بادية، وهي فرصة ذهبية لا يَسَعُ إيران تضييعها؛ وكل التعنُّت والتهديد الإيراني باستخدام أوراقها النووية والإقليمية (في لبنان، والعراق، وفلسطين، والخليج)، كان ردًّا على تجاهل الإدارة الأمريكية للمساومات الإيرانية منذ العام (٢٠٠١م)، وللعرض السري الذي تقدمت به إيران بُعيد سقوط النظام العراقي (٢٠٠٣م)، مقابل الخدمات «الجليلة» التي أدَّتها لأميركا في احتلال أفغانستان والعراق؛ التي تتلخص في: «صراحة الاعتراف بإسرائيل، والتنازل عن النووي، ووقف دعم حزب الله؛ بمقابل مَنحِ الوصايةِ على الخليج لإيران، والاعتراف بها كقوة إقليمية شرعية»؛ وقد تم التكتم الشديد عليها من الجانب الإيراني والأميركي؛ حتى لا تتحول إلى فضحية «إيران-غيت» ثانية.

ويمكن رصد حركة تطوُّر العلاقات الأمريكية الإيرانية بعد (٩/١١) على النحو التالي:

١ - كانت أمريكا تفكّر في فتح علاقات تعاون مع إيران منذ الانقلاب الخميني، وعمل خبراء سياسيون مُتعاقبون على استكشاف ذلك عبر تخفيف العقوبات الاقتصادية المفروضة؛ كخطوة على طريق رسم سياسة جديدة تجاه إيران الثورية، لكن هجمات (٩/١١) بعثرت كل الأوراق المُعدّة.

٢ - بعد أسابيع قليلة اتصلت إيران بالولايات المتحدة بطريق غير مباشر؛ عارضة مساعداتها في القضاء على القاعدة؛ وأبلغ الإيرانيون الأمريكان وقتها: أنهم يكرهون القاعدة أكثر منهم، وأن لإيران مصلحة وثأرًا في القضاء عليها، وأنه بإمكان طهران أن تساعد الولايات المتحدة -عبر القنوات والمصادر المهمة التي تمتلكها- في أفغانستان، والتي من الممكن أن تكون مفيدة لها في هذا الموضوع إذا أراد الأميركيون التعاون.

وقدمت إيران عَرضها في شكل بادرة حسن نوايا، فقد كانت من أوائل حكومات العالم التي دانت الهجوم، وسارع الرئيس الإيراني الإيراني «محمد خاتمي» بإدانة التفجيرات بعد ساعات فقط من وقوعها، ولأول مرة منذ قيام الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩م)، تم إيقاف شعار «الموت لأميركا» في خُطَب الجمعة.

ومن ثمَّ قام (١٦٥) عضوًا من أعضاء مجلس الشورى البالغ عددهم (٢٩٠)، بالتوقيع على وثيقة؛ أعربوا فيها عن تعاطفهم مع الشعب الأميركي، وطالبوا بحملة دولية لمكافحة الإرهاب!!

٣- تلتها سلسلة اجتماعات سرية مع مسؤولين رسميين إيرانيين في جنيف، بغرض الوقوف على ما يمكن لإيران تقديمه من مساعدة في الهجوم المرتقب على أفغانستان، وبالفعل قدمت إيران معلومات وبيانات وإحداثيات لأهم المواقع التي يجب عليهم قصفها في أفغانستان، كما عرضت على الأمريكيين الكثير من النصائح بشأن التفاوض مع المجموعات الإثنية والعرقية الرئيسة في البلاد؛ فضلًا عن المساعدات اللوجستية الإرشادية على طول الحدود.

٤- ما أن بدأ الأمريكان مرحلة تنصيب حكومة جديدة للبلاد، أخذت تشعر بضغط الفصائل الجهادية وصلابتها، طرحت إيران نفسها -بلسان د. محسن رضائي، الأمين العام لمجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران، (في لقاء على الجزيرة)- كمُخَلِّص لأمريكا: «إن الخلاص منه (أي: المستنقع الأفغاني) يجب أن يَمُرَّ عبر إيران، وإذا وصلت أميركا إلى طريق مسدود في أفغانستان، لا بد وأن تحصل على طريق للخلاص من هذا الطريق المسدود، فإيران طريق جيد، وإيران يمكن بشتى الطرق أن تحُلَّ هذا الطريق، وتُخلِّصَ المنطقة من الأزمة الحالية، وتنتهي هذه الأزمة...».

٥- نظرًا للتعاون الإيراني المنقطع النظير في مرحلة تاريخية حرجة للولايات المتحدة، قام مكتب التخطيط السياسي الأميركي بإعداد تقرير في نهاية (نوفمبر ٢٠٠١)، يقترح تبادلًا للمعلومات، وتنسيقًا مشتركًا على الحدود؛ خاصة أن إيران باستطاعتها تأمين معلومات استخبارية تكتيكية بشكل ممتاز؛ فنقلت الوكالات (١٥/٣/٢٠٠٢) عن صحيفة «نَورُوز» الإيرانية، تأكيد نائب رئيس مجلس الشورى الإيراني الإصلاحي، محسن أرمين عن «وجود اتصالات مباشرة بين الولايات المتحدة وإيران، وأن هذه الاتصالات لطالما كانت قائمة في السنوات الماضية، وبحسب مصادر سياسية في إيران؛ تمت مثل هذه الاتصالات خلال الأشهر الماضية في عدد من الدول الأوروبية».

٦- وقبلها بقليل نقلت وسائل الإعلام (٩/٢/٢٠٠٢) عن رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام، الرئيس الإيراني السابق علي أكبر هاشمي رفسنجاني قوله في خطبته بجامعة طهران: «إن القوات الإيرانية قاتلت طالبان، وساهمت في دَحرها، وإنه لو لم تُساعد قواتهم في قتال طالبان؛ لغرق الأميركيون في المستنقع الأفغاني...، يجب على أميركا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشعبي ما استطاعت أميركا أنْ تُسْقط طالبان».

٧- أدارت إدارة المحافظين الجدد في البيت الأبيض ظهرها لإيران؛ فتبخرت كل خدماتها عندما وُضعت على لائحة «محوَر الشر»؛ وانعكس ذلك بشكل سلبي على القيادة الإيرانية، فأعلن آية الله علي خامنئي «المرشد الأعلى» في (مايو ٢٠٠٢م): أن المفاوضات مع الولايات المتحدة أمر عديم الفائدة.

٨- سنحت فرصة بإعادة اختبار الموقف الأميركي؛ الذي سيحتاج إيران في حربها المرتقبة على خصمها «صدام حسين»، وإمكانية كسب صفقة مهمة مع الأميركيين على حساب العراق والمنطقة؛ وصدقت توقعاتها، ففي أواخر (٢٠٠٢) اجتمع السفير الأميركي في أفغانستان «زلماي خليل زاد» بمسؤولين إيرانيين في جنيف، طالبًا المساعدة في نقطتين اثنتين مبدئيًا: مساعدة إيران لأي طيار أمريكي تسقط طائرته في الأراضي الإيرانية خلال الهجوم على العراق، وعدم إدخال أي

قوات أو ميليشيات إيرانية إلى العراق خلال الهجوم.

٩ - لتوجس إيران (الصائب) من نوايا الولايات المتحدة بعد سقوط العراق، وتفاديا لهذه النتيجة؛ طرحوا عقد «صفقة» مع الولايات المتحدة، وفي بداية (٢٠٠٣م)، كانوا يمتلكون ثلاثة عناصر جديدة، تخولهم دفع أميركا للتفاوض، وهي: نفوذ ميليشياتهم وأحزابهم السياسية الكبيرة في عراق ما بعد صدام؛ وقلق الإدارة الأمريكية المتزايد من النووي الإيراني؛ ورغبة الأميركيين في استجواب عناصر تنظيم القاعدة، الذين قامت إيران باحتجازهم كرهائن في (٢٠٠٢م).

١٠ - حصل مقترح الصفقة -ومسودتها الأولى- على موافقة مباشرة من القادة الإيرانيين؛ وعلى رأسهم المرشد الأعلى للجمهورية «علي خامنئي»، لكن إدارة بوش تباطأت في أخذه على محمل الجِد، معتبرة إياه مجرد «بالون اختبار» لابتزاز الولايات المتحدة مقابل الحصول على مكتسبات كبيرة جدًّا.. يقول غارثر بورتر[1]: «لقد عَرض الاقتراح الإيراني السري مجموعة مثيرة من التنازلات السياسية؛ التي ستقدم عليها إيران إذا تمت الموافقة على الصفقة الكبرى، وهو يتناول عددًا من المواضيع منها: برنامجها النووي، سياستها تجاه إسرائيل، ومحاربة القاعدة...، كما عرضت الوثيقة: إنشاء ثلاث مجموعات عمل مشتركة أميركية - إيرانية بالتوازي، للتفاوض على خارطة طريق بخصوص ثلاثة مواضيع: أسلحة الدمار الشامل، الإرهاب، الأمن الإقليمي، والتعاون الاقتصادي...».

١١ - أهملت إدارة بوش النظر الجاد في الوثيقة السرية لسببين أساسيين:

الأول: أن إيران منحت نفسها قدرًا أكبر من الوزن والقوة والمكانة الإقليمية والدولية، عندما ساوت نفسها بالولايات المتحدة، وهو الأمر الذي ما كان يتم قبوله بالنسبة للاتحاد السوفيتي، فكيف بإيران!! وخاصة أن صقور الإدارة كانوا يرون أن الولايات المتحدة قادمة لتغيير الأنظمة في الشرق الأوسط، بدءًا من أفغانستان وليس انتهاء بالعراق، وقد يكون الدور على النظام الإيراني تاليًا.

الثاني -وهو الأهم-: أن المشكلة تكمن في المطلب الإيراني بإعطائها الوصاية على الخليج، والاعتراف بها قوة شرعية؛ إذ إن الاستجابة لمثل هذا الطلب، يعني: تحويل إيران إلى قوة عالمية تسيطر على نفط العالم عبر الخليج، وتتحكم بالممرات وعوامل القوة، وتبتز الآخرين متى تشاء.

وهذا أمر مرفوض بتاتًا في السياسة الأميركية؛ وخاصة أنها كانت قد حسمت أمرها في إخضاع منابع النفط لإشرافها مباشرة، لا سيما بعد تجربة الشاه وصدام؛ التي كادت أن تحوِّل هذين النظامين إلى قوة عالمية تتحكم بالدول العظمى.

١٢ - امتعضت إيران من التصرف الأميركي -بعد تسريب العديد من السيناريوهات الرامية إلى إسقاطها عبر هجوم عسكري كبير-؛ الذي لم يكافئها على دورها الإيجابي، فصرح محمد علي أبطحي (نائب الرئيس

---

(١) وهو مؤرخ وصحافي متخصص في الكتابة عن السياسة الأميركية تجاه إيران، ويبدي تعاطفًا شديدًا تجاهها، وانتقادًا لاذعا للإدارة الأميركية لعدم التعاون معها، وتنمية العلاقات المشتركة للبلدين، وهو أحد القلائل الذين اطلعوا شخصيًّا على الوثيقة، إلى جانب المتخصص في السياسة الخارجية الإيرانية في جامعة «جون هوبكنز» للعلاقات الدولية المتقدمة، تريتا بارسي.

الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية -آنذاك-) في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي نظمه «مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية» بإمارة أبوظبي في (١٥/١/٢٠٠٤م)، قائلًا: «قدمنا الكثير من العون للأميركيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق...، ولولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة!!... لكننا بعد أفغانستان حصلنا على مكافأة وأصبحنا ضمن محور الشر، وبعد العراق نتعرض لهجمة إعلامية أميركية شرسة...».

١٣- كشفت أمريكا اللعب بورقة النووي الإيراني (فترة إدارة بوش الثانية) ، وصعَّد جون بولتون «نائب وزير الخارجية لشؤون الرقابة على التسلح والأمن الدولي» جهوده في الأمم المتحدة لنقل الملف من وكالة الطاقة الذرية إلى مجلس الأمن.

فأدركت إيران أن الولايات المتحدة تمتلك أوراق اللعبة في الشرق الأوسط، وأن هذا سيضعف الموقف الإيراني في أي مفاوضات مباشرة، وعليه؛ قرر المرشد الأعلى للثورة الإيرانية إرجاء موضوع الوثيقة السرية إلى حين حصول تغييرات لصالح إيران، تمكنها من دخول أي مفاوضات مباشرة من موقع القوة، ومن أجل ذلك قام بالإيعاز إلى أجهزة الدولة الإيرانية من الباسيج و«الباسدران»، وحرس الثورة، وعناصر حزب الله، وأجهزة المخابرات والجيش، بالتصويت للمرشح الرئاسي أحمدي نجاد؛ لأن المرحلة تتطلب تصعيدًا، وهاشمي رفسنجاني ليس رجل المرحلة.

فدخلت إيران -منذ (٢٠٠٥)- مرحلة التصعيد مع جيرانها ومع المنظومة الدولية، نتيجة لتشدد الرئيس الجديد.

التوقعات مع الإدارة الأمريكية الجديدة:

بسبب حماقات إدارة بوش المتتالية -عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا- لم تعُد إيران مجردَ تهديد ينبغي مواجهته، بل تحولت إلى لاعب دولي يمكن إما أن يُلحق الأذى الشديد، أو أن يدفع قُدُمًا أكثر الأهداف الإستراتيجية الحيوية؛ ولهذا السبب -تحديدًا- يَرى المراقبون أن على الرئيس الأمريكي القادم أن يُغير جذريًّا سياسة بلاده تجاه إيران، واتِّباع نهجٍ إستراتيجي جديد تمامًا.

وهذا يَعني: إحياءَ المفاوضات على المقترح الإيراني السري، ووضع كل الخلافات بين البلدين على الطاولة في وقت واحد، والاتفاق على حل لها كحُزمَة واحدة، بما يضمن للإيرانيين اليد العليا على المنطقة.

وهذا ما يُفسر نشاط الدبلوماسية الإيرانية تجاه المنطقة الخليجية مؤخرًا (نهاية أكتوبر ٢٠٠٨)، عبر زيارات د. علي لاريجاني رئيس البرلمان الإيراني، وإبرام حزَم من الاتفاقيات الاقتصادية والأمنية مع دول مجلس التعاون، في خطوة استباقية تضيف مزيدًا من المكاسب الإستراتيجية لصالح إيران.

موقف إسرائيل من الوثيقة:

لم تكن الوثيقةَ الإيرانية مفاجئة للعديد من الأوساط الإسرائيلية البحثية؛ إذ إنهم يعرفون أن التهديدات الإيرانية لإسرائيل وإظهار العداء، أمرٌ مُصطنع مُوَجَّهٌ للاستهلاك المحلي (العالم الإسلامي)؛ بغرض كسب التعاطف والدعم، وليس أدل على ذلك من الرسائل التي تشير -دائمًا- إلى وجود علاقاتٍ سريةٍ وتعاونٍ بين إيران «الإسلامية»، وإسرائيل «الصهيونية»[(١)].

---

(١) يقول إفرايم كام؛ وهو أحد أشهر الخبراء في مجال الاستخبارات، =

أهم مؤشرات التفاهمات على فرصة الإيرانية الذهبية (الوثيقة):

ولعل إعادة إحياء المبادرة العربية لتسوية الصراع العربي الإسرائيلي من أهم المؤشرات في هذا السياق، فقبول إسرائيل العلني للمبادرة (أعلنها الرئيس شيمون بيريز الذي زار المنطقة في أكتوبر -أيضًا-)، ومن ثم تصدر إيران (يُلاحظ هدوء في لغة خطاب الرئيس الإيراني ضد إسرائيل) بيانًا ينص على أنه بحسب قرارات مجلس الأمن (٢٤٢ و٣٣٨ و١٣٩٧)، فإنها لا تُعارض تسوية تفاوضيةً للصراع العربي الإسرائيلي، وأنها تؤيد مبادرة السلام العربية (حَلُّ الدولتين) التي تلتزم بالتطبيع مع إسرائيل بعد حَلِّ القضية الفلسطينية، كما ستبدأ تدريجيًّا رفع غطائها ودعمها عن الفصائل الفلسطينية الجهادية، وتحويل حزب الله وحماس إلى منظمتي مجتمع مدني، بمقابل منح ضماناتٍ أمنية أمريكية لطهران بعدم استخدام القوة لتغيير شكل الحكومة أو النظام القائم، وإلغاء العقوبات المفروضة عليها من جانب أمريكا أو المجتمع الدولي، والاعتراف بمكانة إيران في النظام الإقليمي والدولي[1].

الفراغ العربي:

الحقيقة التي أصبحت ظاهرة: أن دول مجلس التعاون الخليجي عبارة عن دول مكشوفة سياسيًّا وعسكريًّا، فقرارها الإستراتيجي ليس بيدها -سلمًا وحربًا (الأمن القومي)-، بل رسخ الفراغ العربي السياسي والعسكري النفوذ الإيراني في المنطقة بشكل كبير، فإيران بما تقدمه لحزب الله من دعم أوجدت لها دورًا في المنطقة العربية؛ إذ أصبح الكلام -الآن- أن حزب الله هو امتدادٌ طبيعي لإيران، وما حدثَ في الجنوب اللبناني من انتكاسة إسرائيلية (الهراوة الأمريكية) مؤخرًا أعطى إيران

= والباحث في مركز جافي للدراسات الإستراتيجية في جامعة تل أبيب، في دراسة له أعدها بتكليف من وزارة الدفاع الإسرائيلية: «إن إيران من الناحية العملية؛ لا تعتبر إسرائيل العدو الأول لها، ولا حتى الأكثر أهمية من بين أعدائها... وعلى الرغم من الخطاب السياسي الإيراني المناكف لإسرائيل إعلاميًّا، إلا أن الاعتبارات التي تحكم الإستراتيجية الإيرانية، ترتبط بمصالحها ووضعها في الخليج، وليس بعدائها لإسرائيل، وهي تبدي حساسية كبيرة لما يجري في دول الجوار».

ونقل معهد «Omedia» البحثي الإسرائيلي، في تقرير مهم له بعنوان: «إيران بحاجة إلى إسرائيل»، للباحث زيو مائور، ما يلي: «إن إيران لا تشكل أي خطر على إسرائيل، ولا تريد تدميرها، بل هي في حاجة لإسرائيل، وتعتبرها مكسبًا إستراتيجيًّا مهمًّا؛ حتى تظل قوة عظمى في المنطقة...، وهي تستغل وتستخدم إسرائيل كذريعة لتحقيق أهدافها، ولدعم مكانتها الإقليمية، ولنشر مبادئ الثورة الإيرانية؛ تحت شعار: معاداة إسرائيل...، وأما التصريحات الدعائية الإيرانية ضد الولايات المتحدة الأميركية؛ فهي من باب الاستهلاك الإعلامي فقط...».

(١) نشرت صحيفة «أخبار الخليج» البحرينية في (٣/١١/٢٠٠٨)، مقالًا مطولًا، علق فيه الكاتب سيد زهرة على هذه الصفقة بأن موافقة الإدارة الأمريكية على الصيغة الإيرانية المقترحة صعبة المنال؛ نظرًا إلى أن الرغبة الإيرانية متفق عليها بين صناع القرار، لكن الأمر يختلف بالنسبة للإدارة الأمريكية، بتياراتها وتوجهاتها اليمينية واليسارية، ويختم بالقول: «على الأرجح من الممكن أن تجرب الإدارة القادمة فتح حوار مع إيران على مستوى محدود من المسؤولين.

أما التوصل إلى صفقة كبرى بالشكل والمضمون اللذين تتصورهما إيران؛ فهو من أصعب الأمور؛ ببساطة لأن الثمن الذي تطلبه إيران هو ثمن فادح لا يمكن لأي إدارة امريكية أن تدفعه...»، ويقترح عوضًا عن ذلك على الحكومات الخليجية أن يكون لها دور المبادرة في أن يكون لها مقعد في هذا الحوار إن حصل، «اذا طرح مستقبلًا وبشكل جدي التفاوض بين أمريكا وإيران، فإن دول الخليج العربية يجب أن تصر على أن تشارك في أي حوار أو أي تفاوض؛ ذلك أن الأمر -هنا- لا يتعلق بعلاقات ثنائية فقط بين أمريكا وإيران، وإنما يتعلق بأمن ومستقبل المنطقة كلها، وليس مقبولًا بأي حال أي حديث أو تفاوض في أي إطار عن مستقبل المنطقة في غياب الدول العربية».

دفعة معنوية وإستراتيجية على المستوى العربي والإقليمي، فإذا شنت واشنطن حربًا ضد إيران (وهو احتمال بعيد جدًّا)؛ فإن الخاسر الوحيد في هذه الحرب هو دول الخليج، التي ستصطلي بتفوق أحد المشروعين: إما المشروع الأمريكي - الصهيوني، أو مشروع النفوذ الإيراني الصفوي في المنطقة.

إن وجود مشروع إيراني فارسي إقليمي لا يمكن إغفاله، استطاع جَرّ أمريكا، ومن ثَمَّ مساعدَتها إلى سَاحَتي أفغانستان والعراق، ونجحَ في وضعِ الجيش الأمريكي بين فكَي الكماشة في العراق، ثم استغل هذا الوضع وحرك أوراق ملفاته، ومنها: ملفه النووي، ونجح -أيضًا- في استقطاب محاور أخرى للاصطفاف معه عربيا، مثلما أمكنه صياغة علاقات إستراتيجية مع سوريا، واللعب بحرية تامة في الميدان العراقي، مستفيدًا من حالتي: التشرذم، والفراغ العربيين، كما استطاع توظيف ورقة حزب الله ووضعه في خاصرة إسرائيل؛ ليستطيع بها ملاعبة أمريكا، التي ترقص على بأسها العسكري، وترزح تحت بؤسها السياسي، والضغط عليهم في الملفات الأخرى.

لقد أصبحت خلايا حزب الله اللبناني مثالًا ينتشر في العراق، والبحرين، والكويت، عن طريق التدريب العسكري والاستخباراتي، وقد سربت عدد من الجهات الصحافية أخبارًا متنوعة عن هذا التوجه الإيراني، بتحويل «حزب الله» إلى ذراع عسكري واستخباراتي في المنطقة، فقد كشفت أجهزة استخبارية أوروبية في بروكسل (شهر نوفمبر ٢٠٠٨): أن استخبارات «حزب الله» وعناصر استخبارية تابعة «للحرس الثوري» الإيراني وعملاء للاستخبارات السورية في لبنان، قد شكلوا خلال الأشهر الأربعة الماضية خلايا استخبارية متحركة؛ لتصفية قادة تنظيمات أهل السنة في لبنان، أو اعتقالهم على أقل تقدير.

وقالت صحيفة السياسة الكويتية[1] التي نقلت الخبر: «إن تلك الخلايا مهمتها تعقب التنظيمات السلفية السُّنية في بيروت، وطرابلس، وصيدا، والبقاع الغربي، وتصفية ما يمكن تصفيته من عناصرها وقادتها، أو اعتقالهم وتسليمهم إلى السلطات اللبنانية...، القياديون البارزون منهم يجري نقلهم إلى دمشق أو طهران؛ للتحقيق معهم، وكشف خفاياهم وانتشارهم في لبنان، وسوريا، ودول عربية أخرى».

ونسبت الصحيفة إلى دبلوماسيٍّ خليجي في العاصمة البلجيكية: أنه نقل عن جهات استخبارية أوروبية قولها: «إن نحو (٢٠٠) من استخبارات الحرس الثوري الإيراني المُجَرَّبين في العراق، والبحرين، ودولة الإمارات وصلوا إلى لبنان عبر سوريا في أواخر (يوليو) الماضي، وباشروا إنشاء خلايا من استخبارات «حزب الله»، و«حركة أمل»، وعملاء للاستخبارات السورية من لبنانيين وسوريين»، بل أكدت الجهات الاستخبارية الأوروبية أنه: «رغم أن دور هذه الخلايا الأساسي هو محاولة كشف الخلايا السنية في المدن اللبنانية الرئيسة وداخل المخيمات الفلسطينية، والجهات التي تؤويهم وتدعمهم بالمال والسلاح؛ إلا أن عملياتها (خلايا حزب الله، والحرس الثوري، والمخابرات السورية) المتوقعة قد تشمل: الاغتيال، والتطهير، والتخريب».

إن المشروع الإيراني لملء الفراغ العربي حقيقة سياسية واقعة، ومن غير الموضوعية إنكارها أو التعامي

(١) يوم الأحد (٢٣ نوفمبر ٢٠٠٨م).

عـن نتائجهـا أو مظاهرهـا في دول المنطقـة، فركـائز هـذا المشروع هي: التحالف الإستراتيجي مع سوريا وحزب الله، بل المحاولات مستمرة لتطوير هذا التحالف ليشمل منظمات المقاومة الإسلامية في فلسطين (وهـي التـي لم تجد يدًا عربية تمتد لها منذ الخيانات العربية الأولى في خمسينيات القرن الماضي)، ناهيك عن ركيزةٍ أساسية تعتمد اختراق العراق تمامًا، والسعي لفصل الجنوب عن الشمال والوسط، وصولًا إلى سياسة اللعب بورقة «الأقليات الشيعية» في الخليج، التي تمَّ تدريب بعضها سياسيًّا وعسكريًّا في لبنان وإيران[1].

ختام:

لا يجب أن تصنف هذه الرؤية ثلاثية الأبعاد على أنها: «ضد النظام الإيراني الحاكم»، بقدر تصنيفها على أنها: محاولة لفهم مُحركاته السياسية في المنطقة، المبنية -كما اتضح- على أسس عقائدية غنوصية، برصيد تاريخي ممتد إلى بداية القرن السادس الميلادي.

كما لا تدعو هذه الدراسة إلى اعتبار الجمهورية الإسلامية الإيرانية عدوًّا، بل «قلقًا» يمكن التعاطي معه بشروط خاصة، وربما احتواؤه بها؛ إذ النظام الإيراني يتميز ببراغماتية عالية، ومرونة واعية لمقتضيات مصالحه العقائدية في المقام الأول، والسياسية المنبثقة عن تلك العقائدية في المقام الثاني.

(١) كشف وزير داخلية مملكة البحرين مؤخرًا عن خلية إرهابية شيعية، مكونة من (١٤) عنصرًا، أحدهم عنصر من وزارة الداخلية، تم تدريبهم في إيران وسوريا، كانت تنوي تنفيذ أعمال إرهابية نوعية وتفجيرات تتزامن مع احتفاليات عيدها الوطني (في ١٦ ديسمبر ٢٠٠٨). «صحيفة أخبار الخليج» (الأحد ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٨)، كما نشرت الخبر كل الصحف البحرينية.

ثم لا بد من الأخذ بعين الاعتبار التراكم الثقافي والتاريخي المُختزن في العقلية الجمعية للنظام الإيراني -وخاصة مرجعيته-؛ التي تتحرك بنبوءات تعتقد عصمتها! وتكفلت بشرحها وإسقاطها على الواقع، وبرؤية واضحة وبرنامج مُؤَصَّل، وتتخذ في سبيل تنفيذه كل الطرق والأدوات والطاقات التي تُؤمِّن قدرًا عاليًا من الانتفاع والتفوُّق؛ فالنظام بشقيه: المرجعي، والسياسي مَسكون بعقيدة عودة «الغائب» على طريقتها، وترى في نفسها الدولةَ المؤهلة والوحيدة للتمهيد لمَقدَمه، وتوظِّف لأجله كل الإمكانيات الأيديولوجية، والسياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والتصنيعية، وترسم لنفسها موقعًا مُتقدما في الخريطة الدولية بآلياته التي يَفهمها اللاعبون الكبار، وتتلوَّن بألوان مقتضيات السياسة الدولية، وتلعب بكل الأوراق المتُعارَف عليها في منظمات الضغط السياسي.

إنه من المؤسف حقًّا أن يُصنِّف النظامُ الإيراني جيرانَه -شعوبًا وحكومات- على أنهم: العدو التقليدي؛ بحكم أنهم «نواصب» أو «وهابية»، ويرفع في وجههم شعارات تزيد من الشحن المذهبي، وهذا تقليد دأبت عليه الحكومات المتعاقبة الإيرانية، لكن لا يجب أن تؤخذ هذه الدعاية الإعلامية على عواهنها، فتلك تكتيكات السياسة، وأدوات اللعب ذات الحدين؛ التي تعود بالضرر على النظام الإيراني نفسه في أحيان كثيرة، كما حدث مع رئيس رابطة اتحاد المسلمين الشيخ يوسف القرضاوي نهاية العام (٢٠٠٨م)، بل من المؤكد أن أصواتًا تختلف مع هذه الأجندة المأزومة في ظاهرها؛ وخاصة بعد أن تبيّن عمليًّا أن الغرب لن يرضى عن النظام الإيراني؛ حتى لو خرج عن جلده، وقدّم الدعم والإسناد

اللوجستي والاستخباراتي للجيوش التي احتلت جيرانه (أفغانستان والعراق)[1].

وعلى العقلاء من جيران إيران -السياسيين، والمثقفين، والعلماء- استغلال الفرصة لدعم هذا التوجه الرشيد، وعدم الانجرار وراء حمام الدم المذهبي الذي تحاول القوى المُتَصهيّنة، وبعض المهووسين بالثأر الكربلائي أو العملاء المأجورين، دفع شعوب المنطقة -قبل حكوماتها- للقفز فيه، وتحويل منطقة ما يُعرف بالشرق الأوسط إلى مقاطعات (=كنتونات) مذهبية متصارعة، ترسم بالدم حدودها المصطنعة.

ومن المحزن حقًّا أن يبقى الحال طيلةَ قرون مضت على النحو الذي دخل فيه الأسطول البرتغالي؛ فعلى شرق بحر الخليج هناك دولةٌ عظيمةُ المساحة الجغرافية من الشمال إلى الجنوب، تشكل أمةً وقيادة وتوجُّهًا عقائديًّا وسياسيًّا واحدًا، في مقابل مجموعات من دويلات صغيرة الحجم والأثر على الضفة الغربية من بحر الخليج، تختلف أكثر مما تتفق، وقد أخفقت مشاريع وحدتها إلا من المظاهر البروتوكولية، وتخَلَّف خطابها السياسي وثقلُها العسكري عن التناغم مع طريقة اللعب والكاريزما الإيرانية إقليميًّا ودوليًّا.

وبالميزان التاريخي؛ فالقوى المتصارعة على ضفتي الخليج تُعيد تحالفات الجاهلية مرة أخرى، ولكن بأساليب مغايرة، فبالأمس كانت تحالفات العرب تميل بحسب مَيَلان ميزان القوى على الأرض، أو بحسب المَيل الديني، فـ «المناذرة» العرب الوثنيون في شمال شرق الجزيرة كانوا ضمن حِلف الفرس، و«الغساسنة» العرب النصارى في شمال غرب الجزيرة ضمن حلف الروم؛ واليوم تُعيد الأحلاف السياسية الذاكرةَ إلى الوراء؛ إذ تتحالف القوى السياسية الرسمية «العربية» السُّنية مع الروم المعاصرين، وتتحالف التكتلات الرسمية والشعبية الشيعية مع الفرس، في سيناريو قديم جديد! لا يزال يُثير النعرات والأحقاد، بل الدماء والتشظّي المؤلم في لُحمة الأمة الإسلامية، وفي قلبها الجغرافي: الجزيرة العربية.

إن دول الضفة الغربية من بحر الخليج خاصة ترزح تحت وطأة مشكلات اجتماعية وثقافية متعلقة بالهوية الثقافية المتصارعة بين البداوة والحضارة، أفرزتها حالة الاستعمار الأجنبي أولًا، ثم نشوء ظاهرة ترف النفط غير المسبوقة في التاريخ؛ التي أفرزت اضراباتٍ خلخلت التركيبةَ المجتمعيةَ -المتعارف عليها منذ القدم- بين الحاكم والمحكوم، وأحدثت فوضى تحديدِ أدوار العلاقة في حال الأمن وحال الاضراب؛ ترجع في أصولها إلى غياب المفهوم الذي يَبني هذه العلاقة ويحُركها كأمةٍ واحدة، وحدوث هوَّة آخذة في الاتساع بين الشعوب وقياداتها.

وهذه -في حقيقة الأمر- تُشكل خطورةً قصوى على شرعيةِ الأنظمة استمرارًا ووجودا، وهو الشرخ الذي تدخل منه أي قوة لها مشروعها الذي يُعيد تشكيل القناعات والمواقف والولاءات؛ مما يُلجئ الحكوماتِ إلى تأمين شرعيتها أمنيًّا وإعلاميًّا؛ فتتحول الدولة إلى عشيرةِ ممُانعة هَشة لا مَنَعَةٍ واقية.

---

(١) فتحت إيران مجالها الجوي مدة شهرين ونصف لدك أفغانستان عام (٢٠٠٢)، ونسَّقت مع المخابرات الأمريكية طرائق التعامل مع الميلشيات الموالية لها في الداخل، كما حمت قوات بدر الموالية والمدعومة من إيران ظهر القوات الأمريكية في أثناء تقدمها إلى بغداد عام (٢٠٠٣م)، وكان التنسيق على الأرض يسير على قدم وساق بين أمريكا وإيران.

هنـاك اعـترافٌ -بـل قناعـة- بوجـود تـأزم سياسي ومذهبي على ضفتي بحر الخليج، لكن لم تُحدد طبيعة هـذا التـأزيم، وهـل هـو إلى التصـاعد أم إلى الـتلاشي أقرب؟

لكن الأخطر من هـذه المسـألة: أن الطرف الغربي على بحر الخليج (دول مجلس التعاون) لم يُحدد موقعه من هذه المعادلة، هل هو في طور الوقوف بوجهه وفرض توازن الرعب؟

أم أنه يفضل عدم المواجهة (وهو الراجح)؟ لعدم تملكه القرار الإستراتيجي وانكشاف أمنه القومي لكل لاعب غيره، وفي كـلا الخيـارين عليـه أن يحـدد آليـات التعاطي الإستراتيجية والتكتيكية.

إن هذه الدول منكشفة -تمامًا- أمام أمة عقائدية تعتقد أنها تمُهّد لمقدم قائد عسكري أعلى؛ يناصب العـرب العـداء؛ وظيفتـه الأولى: تطهـير كـل المعارضـين للأئمة الإثني عشر وشيعتهم.

فلـن يخـرج لاسـتتابة أحـد، أو التحـاور معـه، بـل سيعتمد الوصيةَ التي جاءته عن جده رسول الله: «اقتل، ثم اقتل؛ ولا تستتيبنَّ أحدًا»، فلن يعطيهم أي خيارات غير «السيف هرجا هرجا»[1].

أليس يُرفع شعارٌ يتكرر في كل عام مرة أو مرتين، في كل مناطق الخليج العربي، بصورة متخيَّلة للإمام الحسين؛ إما على حصانه، أو صريعًا مُضرَّجًا بدمائه، وعليه عبارة: «يا لثارات الحسين!».

فعلى تلك الدول وشعوبها أن تتساءل: من هو صاحب الدم؟ وممن سيكون الثأر؟

إن هـذه الدراسـة محاولـة متواضـعة لفهـم ثلاثـي الأبعـاد للمحركـات السياسـية الإيرانيـة: عقائـديًّا وتاريخيًّا ومصلحيًّا، يمكن بها رسم الصورة في إطارها الشمولي، بعيدًا عن التجزيئية أو الانتقائية التي لا تزيد الوضع المعرفي أو التحليلي إلا تعقيدًا، يصلح أن تكون مقدمة لتحرك مبني على أسس متوازنة لا تقف عند المظاهر، وتنفذ إلى الدوافع الحقيقية، وستبقى قاصرة على الأمل المنشود، أو العاطفة الجوفاء، دون تضافر الجهود المؤسسية لكافة دول مجلس التعاون؛ لخلق توازن ومنعة مبنية على أصول معرفية شاملة.

❁ ❁ ❁

---

(١) وهرجا هرجا، أي: قتلًا قتلًا.

ويعلق الكوراني في تبرير أحاديث الإسراف والقسوة في قتل العرب بالقول: «لكنها في الواقع عملية جراحية ضرورية لتطهير مجتمع المسلمين ومجتمعات العالم من الطغاة والظالمين، وبدونها لا يمكن إنهاء الظلم من على وجه الأرض، وإقامة العدل خالصًا كاملًا، ولا القضاء على أسباب المؤامرات الجديدة التي سيقوم بها بقاياهم فيما لو استعمل الإمام معهم سياسة اللين والعفو؛ فالظالمون في مجتمعات العالم كالغصون اليابسة، بل كالغدة السرطانية لا بد من استئصالها من أجل نجاة المريض مهما كلف الأمر». «عصر الظهور» (٢٥٦).

=

= وبهدا المنطق يمكن للأمة -كلها- أن تلوم رسول الله ذاته على تركه المنافقين! وتلوم الخلفاء الراشدين على عدم مواصلة قتال أهل الردة! وتلوم كل أشكال التوازن الحضاري مع الخصوم التي انتهجتها الأمة ضد أعدائها؛ ومنهم الشيعة أنفسهم من وقت ظهورهم زمن علي بن أبي طالب وادعائهم ألوهيته!!

لماذا حزب الله في مصر؟

علي حسين باكير [1]

بعيدًا عن الادّعاءات الساذجة والشعبوية؛ من أنّ وجود حزب الله في مصر، وعمله على الأراضي المصرية متعلّق بدعم الفلسطينيين! لا بدّ لنا من أنّ ننظر إلى الأبعاد الإستراتيجية لتواجد حزب الله في مصر، وأيضًا من زاوية الصراع الإقليمي على النفوذ في المنطقة، ووظيفة حزب الله الدائمة كرافعة للدور الإيراني، وهو الأمر الذي لم يعد خافيًا على أحد.

يغفل كثيرون عن النتائج الإستراتيجية لحرب (تموز ٢٠٠٦)؛ التي قامت بها إسرائيل في لبنان، وعن التداعيات التي خلّفتها على المستوى المحلي والإقليمي، فقد غطّت السحب الدخانية التي تركتها طبول الانتصار الإلهي لحزب الله على إسرائيل على هذه التداعيات؛ بحيث فشل عدد كبير عن رؤية الإطار الواضح لهذه التداعيات التي توارت خلف مكبرات «النصر الإلهي».

لقد غيّرت (حرب تموز) جزءًا من قواعد اللعبة التي كانت سارية المفاعيل حتى حينه بين إسرائيل وحزب الله، صحيح أنّ الحزب كان يشكّل تهديدًا في مكان ما بحجم ما لإسرائيل، لكنّه في المقابل كان يشكّل سدًّا منيعًا أمام الفوضى على الحدود الإسرائيلية - اللبنانية؛ والتي تشكّل العنصر الأكثر خطورة على إسرائيل من أي طرف كان، في ظل ضعف الدولة اللبنانية ومؤسساتها السيادية.

(١) باحث في العلاقات الدولية من لبنان.

وقد اعترف بطبيعة هذا الدور لحزب الله على الحدود: العديد من القادة الإسرائيليين الرفيعي المستوى، وأيضًا أول أمين عام لحزب الله: صبحي الطفيلي **(يمكن مراجعة كتاب: «حزب الله تحت المجهر .. رؤية شمولية مغايرة للعلاقة مع إيران وإسرائيل»)**[2]، ولا داعي لأن نؤكد ذلك أصلًا في ظل الممارسات على أرض الواقع؛ حيث كان يصار إلى اعتقال وتحويل كل من يريد مقاومة إسرائيل في هذه المنطقة من دون المرور بحزب الله إلى المخابرات السورية؛ ليسجن، ويعذّب، ويعاقب على نيّته «مقاومة إسرائيل»!!

وعندما تضخّم حجم حزب الله الوظيفي على الحدود مع إسرائيل، ودوره العضوي كرافعة إقليمية لإيران، قررت إسرائيل استغلال «قضية خطف جنودها» من أجل تغيير قواعد اللعبة، وقد نجحت في إبعاد حزب الله عن الحدود حتى الليطاني، وتمّ نشر قوات اليونيفيل في الداخل اللبناني على الحدود مع إسرائيل، وتمّ تكبيل حزب الله بمفاعيل القرار (١٧٠١)؛ الذي اضطر إلى الموافقة عليه نتيجة لدمار بيئته الشيعية الحاضنة له، وكافة البنى التحتية التي يرتكز إليها في الحرب.

ونتيجة لذلك: أقفلت الجبهة مع إسرائيل، وانتهى دور حزب الله الخارجي في الحدود معها، وبالتالي فقد حزب الله دوره الوظيفي الأساسي كرافعة لإيران وسوريا في مواجهة إسرائيل عبر الجبهة اللبنانية، فالجبهة مغلقة، والدور معطّل.

(١) وهو الكتاب الثاني في سلسلة كتب «**الراصد**»، يتوفر على الرابط التالي:

http://alrased.net/_files/باكير%٢٠نهائي.pdf

وقد ادّى هذا التغيّر الاستراتيجي -الذي طرأ على وضع ودور حزب الله- إلى توجهه نحو الداخل اللبناني؛ فانخرط بقوّة غير مسبوقة، وعمل بطرق لا تختلف عن الطرق التي استعملها ضد إسرائيل، في محاولة منه لاسترجاع الوضع الذي كان عليها قبل حرب (٢٠٠٦)، عبر انقلاب داخلي يتيح له ولحلفائه الإحكام على مراكز صنع القرار اللبناني المؤثرة، على أمل أن يؤدي ذلك مستقبلًا إلى تغيير شيء من الواقع الذي أفرزته الحرب.

كان الحزب يريد التقاط أنفاسه، وإعادة بناء ما تدمر في حرب (٢٠٠٦)، ولذلك فهو أعطى إسرائيل وعدًا بعدم خوض حرب معها؛ من خلال تأكيده أن لا جولة ثانية من الحرب مع إسرائيل، خلال مقابلة أمينه العام حسن نصر الله التلفزيونية على «تلفزيون الجديد» في (٢٧/٨/٢٠٠٦)؛ والتي قال فيها: «لسنا متوجهين إلى جولة ثانية من الحرب مع إسرائيل» (ولاحظوا **صيغة الجمع** في الخطاب؛ حيث لا يقصد: أنّ إسرائيل لا تريد حربًا أخرى بل هو -أيضًا- لا يريد!)، وعمل في نفس الوقت على الداخل اللبناني، محاولًا عكس مفاعيل القرار (١٧٠١) وما قام بالالتزام به تجاه الدولة اللبنانية في ظل الحرب.

ورغم أنّ الحزب فشل مع حلفائه عبر الفوضى الخلاقة التي قام بها في الداخل اللبناني، وعبر الاعتصامات، والتظاهرات، والتعطيل، والعرقلة، وإقفال المجلس النيابي، وقيام حلفائه المعروفين بسلسلة عمليات اغتيال سياسية، واستخدامه لسلاحه في الداخل اللبناني بشكل بشع وفظ -لا يختلف عما سبق لإسرائيل أن فعلته من تحقيق هذه الأهداف-، إلّا أنّه نجح في وضع نفسه على السكّة الصحيحة للقيام بذلك بعد الانتخابات المقبلة.

فحسابات الحزب تقول: إنّه حال نجاحه وحلفائه في ضمان الأكثرية النيابية المقبلة؛ فسيضع أهدافه موضع التنفيذ الفعلي دون أية عواقب، أمّا في حال فشل في حيازة الأغلبية؛ فهو يبقى قادرًا على تكرار ما فعله سابقًا، ومنع الأكثرية من ممارسة سلطتها، وبالتالي عرقلة تحركها، وضمان الحد الأدنى من مطالبه.

لم ينتظر الحزب حتى حصول الانتخابات للبدء بمرحلة جديدة، وتوارت إسرائيل عن واجهة خطاباته في هذه المرحلة الممتدة بين حرب (تموز ٢٠٠٦)، والعدوان الإسرائيلي على غزة في عام (٢٠٠٨)، حتى أنّ الحزب لم يخش أن تستغل إسرائيل انخراطه في الداخل اللبناني، وتقوم بحرب ثانية عليه؛ تقضي عليه نهائيًا في الوقت الذي يكون هو يحارب الأطراف اللبنانية الداخلية؛ حيث لن يكون التضامن معه مضمونًا.

وتمّ استبدال إسرائيل بالدول العربية، حيث تركّز هجوم حزب الله خلال هذه الفترة على الدول العربية -ولا سيما مصر-، ولم يأت ذلك بطبيعة الحال باجتهاد ذاتي من الحزب نفسه، وإنما بناءً على توجيهات إيرانية كانت ترى أنّه في ظل إقفال الجبهة اللبنانية مع إسرائيل؛ يمكن استخدام حزب الله كرافعة إيرانية في وجه الدول العربية هذه المرّة؛ ولا سيما مصر والسعودية.

ولمّا كانت المواجهة مع السعودية تنطوي على مخاطر كبيرة؛ لا سيما فيما يتعلق بموضوع الحساسية السنّية - الشيعية؛ حيث كان باستطاعة السعودية في حال أرادت إيران المواجهة عبر حزب الله أن تستخدم هذا الموضوع للإضرار بموقع الأقليات الشيعية في العالم العربي والإسلامي، وكان ذلك لينعكس بشكل مؤثر على

موقع إيران وحجمها الإقليمي، لذلك اختارت إيران مواجهة مصر عبر حزب الله، وقد كانت المقومات التي يمتلكها حزب الله تؤهله للعب هذا الدور؛ خاصة في ظل انغلاق الجبهة اللبنانية مع إسرائيل، وكانت حجّة المقاومة جاهزة، وامتدادات حزب الله الإقليمية موجودة، وبالتالي لا ينقص إلّا اتخاذ القرار السياسي.

وجاء جهد حزب الله في العمل بالداخل المصري مترافقًا مع حملة إيرانية شنّتها طهران على القاهرة، وتمّ استخدام مختلف الوسائل المتاحة فيها لمحاصرة مصر، وتحجيم نفوذها الاقليمي إلى أقصى حد ممكن، قبل الشروع في مفاوضات ايرانية - أمريكية تمهّد الطريق لطهران لتسيد المحيط العربي والشرق أوسطي.

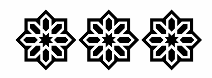
وبدأت الحملة الايرانية على مصر بشكل فج منذ سنوات، عبر محاولات تغلغل تحت ستار «العتبات المقدّسة الشيعية في مصر»، وقد نظّمت حملة مطالب عبر صحف إيرانية ناطقة باسم الحكومة، تطالب بتعيين الشيعة لإدارتها، كما جنّدت عددًا من المرتزقة الصحفيين الذين أخذوا يقوّضون الأمن الاجتماعي بالغمز واللمز لعقيدة المسلمين، والطعن في عائشة ومعاوية، وإثارة القلائل والبلبلات، ثمّ انتقلت إلى ركب موجة المقاومة، في محاولة لاستغلال تعاطف الإخوان المسلمين؛ الذين تشدّهم العاطفة كثيرًا -كما شرائح أخرى من المجتمع المصري-!

ثم انتقلت بعد ذلك لحملة تجنيد إعلامية لصالحها في الداخل المصري؛ لدرجة وصلت إلى أنّ بعض الصحف المصرية المخترقة كانت تسمح بانتقاد الرئيس علنًا، لكنها لا تسمح بتناول الخامنئي بكلمة!! وقصة الصحفي المصري فراج إسماعيل، وجريدة «الدستور» معروفة.

ارتقت ايران بعد ذلك سلّم التخريب الديبلوماسي؛ حيث قوّضت الجهد المصري في غزّة، وأصدرت -أيضًا- فيلم «٣٤ طلقة للفرعون»؛ والذي أثار سخط المصريين.

عمدت المخابرات الإيرانية بعدها إلى تنظيم التظاهرات ضد مقر البعثة الديبلوماسية المصرية في إيران، وبلغت الأمور ذروتها وتخطت حدودها الحمر في الحرب الإسرائيلية على غزّة؛ حيث قررت إيران استخدام حزب الله بدلًا من أن تقوم هي بذلك، وهذا لأنه سيكون من الأسهل النيل من مصر عبر حزب الله، مستغلّة مسألة المقاومة، وتحت شعار: «دعم الفلسطينيين»، وذلك بغرض إثارة الانشقاق في صفوف المصريين على المستوى الشعبي، وإحداث حرج وضغط على القيادة السياسة (تحت ذريعة: أنها تحاكم من يدعم المقاومة)، وهو الأمر الذي سيختلف في حال كانت الخليّة إيرانية صرفة.

وادعاء أنّ حزب الله -هنا- كان يعمل على مساعدة الفلسطينيين! مسألة فيها تضليل كبير وضخم، وهو ما سنوضّحه في مقال مستقل -لاحقًا-.



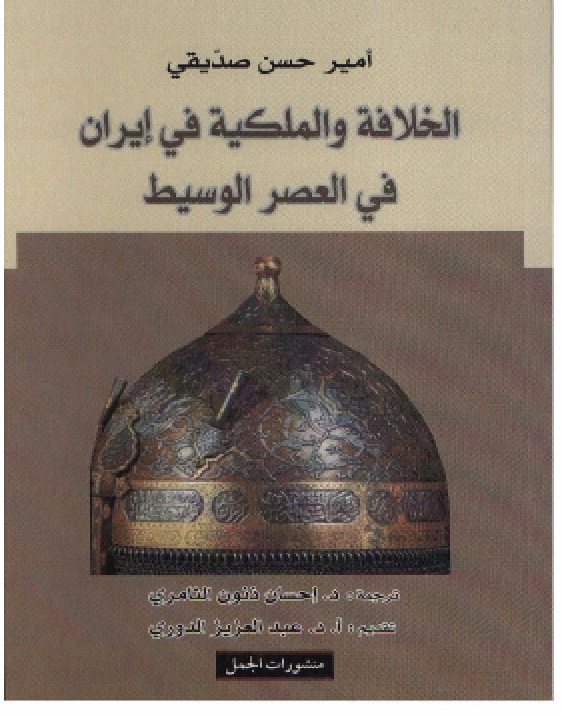
الخلافة العباسية.. وثورات الأُسَر في إيران

محمد العواودة [1]

تكتسي الدراسات التاريخية في العصر الوسيط أهمية خاصة فيما تشكله من دلالات معرفية عميقة في تحليل ورصد وقراءة الحالة الفكرية المعاصرة، وتحديد الأطر الزمنية في مختلف أبعادها الفاعلة لظاهرة فكرية ما.

في هذا السياق؛ يعتبر كتاب «الخلافة والملكية في إيران في العصر الوسيط» (منشورات دار الجمل، ٢٠٠٧) للأستاذ أمير حسن صديقي -من شبه القارة الهندية- من أهم الكتابات المعاصرة التي تناولت أهم فترة حرجة في تاريخ الخلافة العباسية، وقدمت إرهاصات سقوطها؛ من خلال رصد وتحليل الحالة الفكرية الثورية، ومحاولات الانفصال المتعددة عن مركز الخلافة في بغداد؛ التي قامت بها بعض الأسر والقبائل والأعراق التاريخية؛ سيما في إيران.

تعتبر إيران التاريخية؛ فيما تمثله في إقليمها الجغرافي الأبرز خراسان، المحطة التاريخية الهامة عند المؤلف في تصدير الثورات الانفصالية والتمرد على مركزية الخلافة العباسية، ما ساهم في إضعافها، وعبّد الطريق للغزو المغولي؛ حيث ساهمت تلك الثورات في ظهور مفاهيم طارئة على الفكر الإسلامي، كرّست للاستبداد، وفتحت باب الفتن الطائفية والمذهبية، وذررت الموقف الفقهي الإسلامي؛ من خلال بروز مفهوم السلطنة لأول مرة في الفكر الإسلامي، الذي كان يعتبر مصطلحًا مكافئًا للخلافة الإسلامية في تلك الفترة؛ حيث بدأت الخطوات التاريخية لفصل المفاهيم الدينية والدنيوية عن بعضها في الفكر الإسلامي، وحيث بدت الخلافة الإسلامية كيانًا شكلانيًا في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ المسلمين.



يحدد مؤلف الكتاب بداية الفترة الزمنية المأساوية في تاريخ الخلافة العباسية؛ بفترة حكم الخليفة المتوكل (٢٣٢ هـ - ٢٤٧ هـ)، والتي تميزت بناحيتين:

الأولى: ردة الفعل ضد تعاليم المعتزلة وعودته المفاجئة إلى المذهب السني التقليدي؛ الذي رافقه بعض الاضطهاد للمذاهب الأخرى.

والثاني: سيرة الأتراك؛ الذين كانت لهم ميول لسياسيات الخليفة؛ التي انعكست على المجال السياسي فيما بعد.

---

(١) كاتب أردني.

يتجاهل المؤلف البعد الفكري والعقدي المناهض للأمة الإسلامية عند هذه الثورات، والنابع من موقف رافض في الحقيقة للعقيدة الإسلامية من بقايا أتباع العقائد والأديان السابقة، ويركز على زعم أن الاضطهاد الذي مارسته الخلافة في عصر المتوكل ضد الشيعة كان عاملًا مهمًّا في انتشارهم، ونمو العديد من الحركات الدينية والفلسفية؛ كالقرامطة، والإسماعيلية الذين توجوا حراكهم الثوري في إقامة الخلافة الفاطمية في مصر، وثورة الزنج التي كانت حصيلة الدعاية الزيدية في جنوب العراق؛ حيث تسببت هذه الثورة بقدر كبير من القلق للخلافة، بالموازاة مع ثورة القرامطة في الإحساء، كما شكل دعاتهم معاقل دائمة في الانتفاض والتحريض في خراسان، والشام، واليمن، وتحولوا إلى آفة سياسية دائمة الاستعداد لمهاجمة ممتلكات الخلافة، ونهب قوافل الحجاج.

في ظل هذه الظروف الصعبة التي مرت بها الخلافة يرصد المؤلف أهم حركات التمرد التي ساهمت في تقويض مؤسسة الخلافة وتفكيكها تدريجيًّا؛ حيث كانت البداية مع تمرد الطاهريين «السنة»؛ وهم أتباع طاهر ذي اليمينين؛ أحد ابرز أبناء الأسر التي كانت تخدم الولاة في سيجستان، الذين بزغ نجمهم مع مجيء المأمون إلى الخلافة، وتعيينه طاهرًا واليًّا على الجزيرة، ومسؤلًا عن خراج العراق، إضافة إلى قيادة شرطة بغداد، وأسند إلى ابنه عبد الله إخضاع الأجزاء الغربية من الدولة العباسية، وعلى إثر ذلك أصبح الطاهريون شركاء في الدولة؛ حيث أبقاهم المأمون بعيدًا عن موطنهم خراسان؛ خشية تنامي قوتهم قبل أن يعودوا إليه بحيلة على الخليفة.

ومع توليتهم لإقليم خراسان أعلنوا استقلالهم عن الخلافة، إلا أن الدولة العباسية كانت في أوج مجدها في تلك الفترة؛ ما مكّنها من القضاء على التمرد، حيث ظل الطاهريون بعد وفاة طاهر مخلصين للخلافة العباسية، وعونًا لها في القضاء على الثورات التي تظهر بين الفينة والأخرى.

لكن المؤلف يعتبر أن أول أسرة في إيران تحدت الخلافة العباسية فعليًّا هم: «الصفاريون»؛ الذين قاموا على أنقاض الإمارة الطاهرية بقيادة يعقوب -مؤسسها-؛ الذي أقام ثورته تحت طائلة رفع راية إحياء الشريعة، وإقامة العدل، حيث كان يرى أن الخلافة لم تكن تمارسه في خراسان، إلا إنهم مع ذلك لم يخرجوا عن الاحترام التقليدي لمؤسسة الخلافة الدينية، لكن مقتضيات الحق والعدالة، وضعف الحكم في المركز وفي الولايات، دفعهم إلى إقامة حكم جديد؛ حيث استطاعوا تقليص سلطة العباسيين الزمنية إلى الحد الأدنى.

أما الثورة الثالثة: فهي ثورة السامانيين؛ الذين انقسمت علاقاتهم إلى قسمين:

الأول: عندما بدأت أول علاقة لهم مع حكومة بغداد.

والثاني: عندما وقعت الخلافة تحت سيطرة البويهيين؛ وحتى سقوط السامانيين على يد محمود العزنوي.

كان السامانييون -عمومًا- مخلصين للخلافة؛ إلا انه عندما اكتسبت الدعاية القرمطية العديد من المؤيدين بين المسئولين السامانيين السنة، حيث تحول زعيمهم نصر نفسه إلى مذهبهم، دفع العلماء السنة للتحرك لتقويض مذهب الباطنية، مستعينين بذلك بالحرس التركي للإطاحة بنصر وتولية ابنه نوح لقمع الباطنيين.

إلا أن المؤلف يعتبر أن ثورة السامانيين لم تكن على درجة من الخروج تعادل أسلافهم الصفاريين، بل كانوا يرضون بما استطاعوا الحصول عليه من الخلافة بالوسائل السلمية.

باستيلاء البويهيين على جميع سلطات الخلافة الزمنية في بغداد؛ بدأ التحول الدراماتيكي لانهيار مؤسسة الخلافة، حيث أصبح الأمراء هم المسيطرون الفعليون على مؤسسة الخلافة، ويتوارثون منصب الإمارة فيها، بيد أنه ورغم طموحهم في الحكم الفعلي سمحوا للخليفة بالاحتفاظ بسلطته الرمزية، وإصدار عهد التولية للأمراء الشيعة البويهيين، مع احتفاظهم ببعض المهام الدينية للخلافة.

برز صعود نجم الغزنويين السنة الذين كانوا ينافسون

البويهيين من الناحية السياسية، مع اختفاء مظاهر الحكم الساماني، وانتهاء الحق الشرعي الذي يخولهم لحكم البلاد بقيادة محمود الغزنوي؛ الذي استولى على إيران برضى الخليفة القادر، حيث أعاد محمود سلطة الخلافة إلى الحياة في إيران، و ظهر في عين الخليفة وعامة المسلمين على أنه حامي العقيدة الإسلامية.

كما أن محمود وابنه مسعود لم يتساهلا في أي انحراف عن المذهب السني، ووفروا الحماية للعقيدة؛ باجتثاث جميع عناصر الباطنية في المناطق التي كانوا يملكونها، وعلى غرار السامانيين؛ فقد عملا على تعزيز هيبة الخلافة العباسية، والاعتراف بها من جميع البويهيين؛ رغم خلافهم معها.

عند ظهور السلاجقة السنة -كقوة سياسية في إيران- كانت قد تناقصت السلطة الدنيوية للخلافة إلى أدنى مستوياتها؛ سواء في بغداد أو في الولايات المجاورة، وذلك على يد البويهيين الشيعة، مع أن الواقع خلال تلك الفترة الأخيرة من العهد البويهي لم يكن الخلفاء ولا الأمراء في وضع يمكنهم من تأكيد سلطتهم ضد الأتراك المثيرين للاضطرابات، ولم يكن الأتراك أنفسهم قادرين على إدارة الدولة.

عندما نودي بـ «طغرل» ملكًا على نيسابور بعد هزيمته للغزنويين؛ لم يعارض أوامر الخليفة القائم بأمر الله، وأكد السلاجقة على ولائهم له، ورغبتهم بتفويضهم أمر البلاد؛ حيث أطلق على طغرل لقب: «السلطان المعظم»؛ ليتولى الإدارة الزمنية للدولة.

ومع إقامة صرح السلطنة السنية في بغداد بعد البويهيين؛ بدأ عصر جديد في الخلافة -كمؤسسة-، فقد قام السلاجقة بفتح إيران كاملة، والعراق، وبلاد الشام، وآسيا الصغرى، وأعادوا توحيد الولايات الإسلامية المبعثرة، وردوا اعتداءات البيزنطيين، وأعدوا جيلًا من المجاهدين؛ كان له الأثر الأكبر في هزيمة الصليبيين، حيث كان انتصار السلاجقة يعني: انتصار المذهب السني في كل المناطق التي كانوا يخلصونها من أيدي البويهيين الشيعة، وأخذوا بيد الفقهاء السنة، وحموا الخلافة من الطامعين.

وفي عهد السلاجقة -ولأول مرة في التاريخ الإسلامي- كان يقف إلى جانب الخليفة سلطان؛ منصَّب تنصيبًا شرعيًّا، تعتمد سلطته على السيف، إلى أن خرجت الخلافة العباسية من صراعها الخفي والمتطاول مع السلطة الدنيوية مع السلاجقة، بعد وفاة سليمان شاه بن محمد؛ لتنتهي سلطنة السلاجقة في بغداد، ولتعود السيادة الزمنية والدينية للخلافة من جديد في حاضرة بغداد.

مع مجيء شاهات خوارزم إلى السلطة في إيران؛ اتخذت الخطوة النهائية في تطوير مؤسسة السلطنة، وكانوا أول حكام ذوي سيادة في إيران يستغنون عن السياسة التقليدية القائمة على مفاتحة الخلافة من أجل تأكيد حقوقهم الدنيوية، وذلك بعد أن زالت السلطة الوسيطة التي كانوا استمدوا سلطتهم منها في عهد السلاجقة.

وفي صدد اجراءات الخليفة الناصر لدين الله ضد خوارزم شاه؛ حيث كان يرى تهديدًا في قوة هذه الأسرة في إيران، قام بالتحالف مع الغوريين والقراخطائيين ضد شاهات خوارزم؛ الذين لم يسعفهم زحف المغول للوصول إلى بغداد، والاستيلاء على السلطة.

يخلص المؤلف إلى أن تاريخ الصراع بين الخلافة والسلطنة؛ وإن بدا لصالح الخلفاء في المركز ببغداد، وخروج الخلفاء ظافرين في تاريخ صراعهم مع الأمراء والسلاطين؛ إلا أنها كانت في أغلب فتراتها فاقدة للسيطرة على ثورات الأسر في إيران في النواحي الدنيوية، وان كانت مسيطرة بشكل أفضل في الجوانب الدينية.





أن تأتي متأخرًا

قالوا: «أكدت مصادر مطلعة داخل الأزهر الشريف: **أن د. سيد طنطاوي** رصد ميزانية تقدر بعشرة ملايين جنيه، لكشف الفرق والمذاهب الخارجة عن العقيدة الصحيحة للإسلام».

«المصريون» (٢٣ / ٥ / ٢٠٠٩)

قلنا: أن تأتي متأخرًا خير من أن لا تأتي أبدًا!

المؤمل أن لا يكون مفهوم الفرق والمذاهب الخارجة عن العقيدة الصحيحة للإسلام محصورًا بالقاديانية والبهائية، فثمة فِرق كثيرة تتواجد في مصر والعالم يجب كشفها.

ولايتي والخليج الفارسي

قالوا: «الاسم المزيف لاصطلاح الخليج الفارسي استخدم لأول مرة من قبل مسؤول في حكومة بريطانيا في كتاب له عن تاريخ المنطقة.. إن بريطانيا تهدف من خلال هذا العمل إلى إثارة الفرقة في المنطقة».

علي أكبر ولايتي

-مستشار قائد الثورة الايرانية للشؤون الدولية-

«وكالة مهر للأنباء» (٢٩/٤/٢٠٠٩)

قلنا: كم يُغضِب الإيرانيين أن يوصَف الخليج بأنه عربي أو إسلامي، لأنهم يريدون أن تكون منطقة الخليج جزءًا من امبراطورية فارس، وجمهورية ولاية الفقيه.

أما إثارة الفرقة في المنطقة فيا لها من قصة مضحكة!

فإيران تحتل عربستان، وجزر الإمارات الثلاث، وتخرّب في العراق ولبنان، وتهدد دول الخليج، ومع ذلك: لا تثير الفرقة في المنطقة!

ماذا عن مكة والمدينة؟

قالوا: «إن كل شبر من تراب العراق هو مقدس».

حميد بهبهاني

-وزير الطرق والمواصلات الإيراني-

«الوكالة الشيعية للأنباء - إباء» (٧/٥/٢٠٠٩)

قلنا: فماذا عن مكة والمدينة؟! **هل هما مقدستان -أيضًا-** عند الوزير الإيراني والشيعة؟

هل باتت الأضرحة والقبور أفضل من بيت الله الحرام ومسجد النبي ﷺ؟ **أم أن تراب العراق** -بعد أن داسه جيش الحرس الثوري الإيراني في ظل الاحتلال الأمريكي- صار مقدّسًا؟!

جلبوا للمسلمين الاعتبار أم العار؟

قالوا: «يجب أن تكونوا ممتنين أجمل امتنان للشيعة الامامية؛ لأنهم هزموا إسرائيل.

يجب أن تدعوا للشيعة بعد كل صلاتكم؛ لأنهم جلبوا للمسلمين الاعتبار في العالم».

ناصر مكارم الشيرازي

«الوكالة الشيعية للأنباء» (١١/٥/٢٠٠٩)

قلنا: وماذا نفعل للشيعة الذين ساعدوا الأمريكان لاحتلال أفغانستان والعراق؟!

هل ندعو لهم -أيضًا- بعد كل صلاة؟!

أما الذين قال الشيرازي عنهم بأنهم هزموا إسرائيل -من المرتمين بأحضان إيران وسوريا-؛ فهم أول من يحمي حدود إسرائيل، ويمنعون أي عملية ضدها!

وأين نحن؟

قالوا: «أميركا مضطرة لطلب العون من إيران في العراق، وأفغانستان، وباكستان».

قيادي في حزب الله

«وكالة الأنباء الإيرانية» (١١/٥/٢٠٠٩)

قلنا: الاستعمار الأمريكي اتفق مع الاستعمار الإيراني على اقتسام بلاد المسلمين، وبعد ذلك يأتي من المسلمين من يحسن الظن بإيران!!

حتى الجنيه لم يسلم من تبشيرهم!

قالوا: «في بورسعيد اكتشفنا وجود عملات وأوراق نقدية مصرية مختومة بدعاية لحزب الله الشيعي اللبناني، مكتوبًا عليها: حزب الله أهل البيت حبل الله».

النائب الوفدي محمد مصطفى شردي

«المصريون» (١٧/ ٥ / ٢٠٠٩)

قلنا: حتى العملة لم تسلم من مخطط الشيعة وحزب الله لنشر التشيع في مصر!

نخشى أن يأتي يوم نجد فيه مذهبهم مشروحًا على الدينار والدرهم والريال!!

دولارات شريفة!

قالوا: «أكدت مصادر مطلعة: أن إيران رصدت أكثر من عشرة ملايين دولار سيتم ضخها إلى مصر في صورة دعم لمنظمات وجمعيات مصرية.

وذلك بهدف تحسين صورة إيران في مصر، وخلق رجال لها يدافعون عنها داخل المجتمع المصري».

«المصريون» (٦ /٥ /٢٠٠٩)

قلنا: لا يحتاج الكلام السابق إلى كثير إثبات، فقد أثبته الواقع!

فهاهم بعض القوميين والناصريين الذين كانوا أعداء لإيران فيما مضى؛ بدأت تظهر عليهم آثار الملايين العشرة، وأخذوا يقيمون المؤتمرات الفخرة ويؤسسون وسائل إعلامية، وينبرون للدفاع عن إيران.

كلام في كلام

قالوا: «لماذا بلغ جموح الخطاب السياسي الإيراني أقصى درجات الاستفزاز للكيان الصهيوني في مؤتمر مكافحة العنصرية؟ كيف استطاع الرئيس الإيراني فرض وتوجيه قضية بعينها غير تلك التي انعقد المؤتمر من أجلها؟».

محمد حسين أبو العلا

«صحيفة الحياة» (٢٩/٤/٢٠٠٩)

قلنا: مادام الرئيس الإيراني نجاد اعتاد على إطلاق الشعارات والتهديدات العنيفة دون فعل ضد أعداء الأمة منذ قدومه الميمون إلى سدة الرئاسة؛ فإن له أن يستفز الكيان الصهيوني!



الإعلام وصراعنا مع الفرس

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ «صحيفة الجزيرة» (٢٠٠٩/٥/٣)

في الإعلام لا يمكن أن تكون محايدًا؛ حتى وإن ادعيت الحياد! فالعمل الإعلامي -وبالذات في السياسة- حربٌ تُدار بدهاء؛ بعيدًا عن المباشرة، والخطابية، واللغة الدعائية الغارقة في بساطتها، وأصدق ما يصدق على بعض القنوات مقولة: إنها «فن دس السم في العسل».

الحيادية: خدعة، والموضوعية في الإعلام: أن تعرف كيف تُظهِر الحياد في الظاهر؛ وتمرر من تحت الطاولة الفكرة بعد تغليفها شكلاً بالموضوعية والحياد.

قناة «العالم» الإيرانية -التي تبث بالعربية-؛ تطبق طريقة (دس السم في العسل) ببراعة ومهنية! إذا أرادت تمرير فكرة من خلال برنامج حواري: تختار المشاركين في البرنامج بانتقائية لخدمة أهدافها؛ فتختار من يستطيع أن يمرر ما تريد أن تقوله إلى قناعات المشاهد؛ دون أن يعي، فتأتي -مثلاً- بالمتطرف المكتظ تخلفًا وبذاءة، وربما غلظة وجلافة؛ الذي لا يمت بصلة للإسلام المتسامح والمتحضر؛ فضلاً عن الذكاء الإعلامي، ليقوم بدور «المدافع» عن قضية ما، وفي المقابل تختار الأقوى حجة، والأمضى بيِّنة، والأقدر على الدفاع عن قضيته بذكاء؛ ليدافع عن الرأي المضاد، فتمرر من خلال الرأيين: المتطرف «الغبي»، والمتسامح «الذكي» الصورة المفبركة التي تريد أن تمررها إلى أذهان المتلقين؛ لتدعم موقفها.

وإذا كانت الآلة الدعائية الإيرانية تعمل -الآن- بكل حيوية، وقوة، ومتابعة؛ من خلال قناة «العالم» الناطقة بالعربية، وكذلك قناة «المنار» التابعة لحزب الله في لبنان، وكذلك «قناة الحوار» التابعة للإخوان المسلمين -حلفاء الفرس- التي تبث من لندن، فليس هناك في المقابل قناة موجهة إلى الداخل الإيراني باللغة الفارسية.

هذا الفراغ أدى في المحصلة إلى أن الهجوم الإعلامي علينا لا يقابله هجوم إعلامي مضاد على الإيرانيين، فانشغلنا بالدفاع، ولم نفكر في الحقيقة التي تقول: الهجوم خير وسيلة للدفاع.

يتكون النسيج الداخلي الإيراني من مزيج من القوميات العرقية إضافة إلى الفارسية؛ كالبلوش، والتركمان، والأكراد، والعرب.

ويشكل الفرس نحو (٤٥%)، فيما تشكل القوميات غير الفارسية؛ من ترك، وكرد، وعرب، وبلوش، وتركمان نحو (٥٥%) من سكان إيران، إضافة إلى الأقليات الدينية، مثل: الأرمن، واليهود، والزرادشتيين، وكذلك الطائفة السنية التي يعاني أفرادها أشد المعاناة تجاه الاضطهاد الفارسي.

وبين هذه القوميات، والاثنيات المتعددة، والقومية الفارسية المهيمنة على السلطة في طهران من العداء، والكراهية، والبغضاء، والتنافر ما تؤكده كل التقارير المهتمة بالشأن الإيراني، وتعمل السلطات الحاكمة على «تفريس» هذه القوميات، وفرض الثقافة الفارسية عليهم بالقوة؛ ممثلة أقسى أصناف العنصرية في العصر الحديث.

على المستوى الاقتصادي؛ هناك الكثير من المشكلات التي تكتنف الداخل الإيراني، فكما تشير الإحصائيات الرسمية: يعيش (٤٠%) من الشعب الإيراني -على الأقل- حول خط الفقر، وتتراوح نسبة البطالة بين (٢٠% و٣٠%) بين

خريجي الجامعات، ناهيك عن الفئات الأخرى غير المتعلمة تعليمًا جامعيًّا.

وحسب صحيفة «إطلاعات» الإيرانية، فإن: «إيران تمتلك المرتبة الأولى في العالم لهروب النخب العلمية».

ووفقا للناطق باسم السلطة القضائية جمال كريمي، فإن (٦٠٠) ألف مواطن إيراني يدخلون السجن سنويًّا.

ويقول الدكتور خدائي -رئيس مركز رازي للطب النفساني-: «إن (٢٠% إلى ٢٥%) من أفراد المجتمع مبتلين بأزمات نفسية».

إضافة إلى أن نسب تعاطي المخدرات في إيران تعد الأعلى بين دول المنطقة -كما تقول الإحصاءات-؛ فحسب صحيفة «شرق» الإيرانية، فإن «الإحصائية الرسمية عن عدد المدمنين في إيران اتجهت نحو التصاعد بعد انتصار الثورة، وإلى الآن».

هذا النظام المتهالك من الداخل! يجب أن يكون مادة إعلامية في «رد» الهجوم الإعلامي الإيراني، وتعريته أمام الإيرانيين، من خلال الإعلام الفضائي.

كل ما نحتاج إليه «قناة فضائية» ناطقة بالفارسية، تعمل بذكاء ومهنية؛ لتعرية هذا النظام «العنصري» المتهالك الذي يتستر بالإسلام، لنرد الهجوم بهجوم مضاد، طالما أن الصراع مع الفرس هو حتم؛ وليس خيارًا.

الصوفية في الكويت.. نبتة في بيئة سلفية

رجب الدمنهوري «إسلام اون لاين» (٢٠٠٩/٤/١٤)

قد يبدو غريبًا على البعض القول بأن الكويت -شأنها شأن الكثير من الدول العربية والإسلامية- تحتضن -إلى جانب التيارات الإسلامية، الإخوانية، والسلفية، والشيعية، والتبليغ، والدعوة- تيارًا صوفيًّا، له زعماؤه الروحيين، وأتباعه، ومريدوه، وأفكاره، وطقوسه، ودواوينه؛ التي يقام فيها حلقات الذكر والإنشاد.

كما يحيي أنصاره المناسبات الإسلامية على طريقتهم، ويزورون القبور، بل ويمارسون جميع شعائرهم في حرية تامة!

ووجه الدهشة التي قد تثار في هذا الصدد: أنه كيف استطاع الفكر الصوفي اختراق الكويت، وهي إحدى مناطق شبه الجزيرة العربية التي يطغى عليها التوجه السلفي، والمحصن أبناؤها بفكر علماء السلف ضد أي فكر دخيل؟

وكيف غزت الطرق الصوفية الكويت، والسلفيون يقفون لها بالمرصاد؛ مشرعين أسلحتهم، ومجيشين سيوفهم البتارة -سياسيًّا وبرلمانيًّا وفكريًّا- في مواجهة كل فكر يعتبرونه وافدًا على بلادهم، أو محاولاً الولوج إليها للتبشير بمعتقداته وأفكاره؟!

❁ ومن هنا؛ تأتي أهمية المحاولة لسبر أغوار الحركة الصوفية في الكويت، ورسم معالمها.

❁ رموز المتصوفة:

الوزير الأسبق يوسف السيد هاشم الرفاعي، المولود في الكويت سنة (١٩٣٢م): يعتبر الأب الروحي للصوفيين، وأحد المنظرين لأفكارهم، والمدافعين عن معتقداتهم في مواجهة الانتقادات الموجهة إليهم عبر مختلف وسائل الإعلام.

والرفاعي شخصية ذات حيثية معروفة في المجتمع يدافع عن منهجه بإيمان ويقين، وقد انتخب عضوًا في مجلس الأمة سنة (١٩٦٣م)، وعين وزيرًا للبريد والبرق والمواصلات سنة (١٩٦٤م)، ثم عين وزيرًا للدولة لشئون مجلس الوزراء، ورئيسًا للمجلس البلدي، ورئيسًا لمجلس التخطيط من سنة (١٩٦٥- ١٩٧٠م)، وبعد أن ترك الوزارة؛ انتخب عضوًا في البرلمان مرة ثانية (١٩٧٠ – ١٩٧٤م).

وهو من مؤسسي «مجلة البلاغ» ذات التوجه الإسلامي، وأحد مؤسسي المعهد الديني لتدريس العلوم الشرعية واللغة العربية، في منطقة المنقف.

وللرفاعي جهود واضحة خارج الكويت؛ فقد تولى

عضوية المكتب التنفيذي لمؤتمر العالم الإسلامي، ثم أصبح نائب رئيس المؤتمر حتى نهاية (١٩٩٢م)، ورأس لجنة الأقليات في مؤتمر العالم الإسلامي في باكستان.

وله دور كبير في تأسيس الجمعية الكويتية لمساعدة مسلمي بنجلاديش، والاتحاد العالمي الإسلامي للدعوة والإعلام، في لاهور، مع عدد من الشخصيات الإسلامية.

وينتمي يوسف الرفاعي إلى طريقة الشيخ أحمد الرفاعي -العراقي المولد والنشأة-، وهي الطريقة التي أدخلت الصوفية إلى الكويت -حسب بعض المصادر-، ويستضيف في ديوانه حلقتين أسبوعيًّا؛ يلتقي فيها أتباعه لتلاوة الأوراد والأذكار، وممارسة التقاليد الصوفية.

والرفاعي كان أحد الناشطين في «جمعية الإرشاد» التي تأسست (١٩٥٢م)، ثم تحولت بعد ذلك إلى «جمعية الإصلاح الاجتماعي» عام (١٩٦٣م) (الإخوان المسلمون)، ثم انتقل إلى جماعة الدعوة والتبليغ، وانتهى به المقام إلى الحركة الصوفية؛ التي تعتبر كتاب «إحياء علوم الدين» القانون الأهم للتصوف.

والصوفية في الكويت -والتي يعدها البعض سورية المنبع- لها أتباع في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الكويت، ووزارة الأوقاف، لكنهم لا يعلنون عن أنفسهم خشية استهدافهم من جانب التيار السلفي، والإنكار عليهم من عموم المجتمع.

ومن أبرز الرموز المحسوبة على الفكر الصوفي: الدكتور محمد عبد الغفار الشريف -الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف، وعميد كلية الشريعة سابقًا-، والدكتور يوسف الشراح، والشيخ حمد سنان، والدكتور عبد الله المعتوق -وزير الأوقاف السابق-؛ الذي كان ضحية التجاذب السلفي - الصوفي، إذ تعرض إلى حملة انتقادات حادة من جانب البرلمانيين السلفيين؛ بذريعة أن وزارته كانت تستضيف أقطاب الصوفية في العالم الإسلامي لإلقاء محاضرات ودروس في الكويت، في الوقت الذي تمنع فيه كتب علماء السلف؛ كابن باز، وابن عثيمين من معرض الكتاب الإسلامي، ولم تتوقف هذه الحملة إلا بعد الإطاحة بالمعتوق من الوزارة.

۞ تجديد الفكر الصوفي:

عبد الله نجيب سالم -الباحث في الموسوعة الفقهية الكويتية، والمولود بمدينة حلب السورية، والمقيم في الكويت- يعد من رموز الصوفية الفاعلين -أيضًا-، وهو إلى جانب دفاعه عن الفكر الصوفي، واعتباره أن (٧٠%) من أمة الإسلام متصوفة، وأن أصحاب الطرق الصوفية من كبار أئمة الإسلام علمًا ومسلكًا؛ فإنه صاحب رؤية نقدية للعديد من ممارسات الصوفيين، ومن دعاة تجديد الفكر الصوفي، إذ يرى أن الطرق الصوفية وصلت إلى مرحلة الشيخوخة، وأن مناهجها التربوية ارتبطت ببيئة نشأتها، وأن توريث مشيختها من أسوأ التقاليد التي قد تعجل بانقراضها، ولا ينكر أن هناك انحرافات دخلت على الطرق الصوفية؛ غير أنها في رأيه لا تعتبر أساس التصوف.

كما يرى أن هذه الطرق أصبحت قوالب جامدة، وإذا كانت قد نجحت في زمنها؛ فإن جمودها على هذه الحالة سيؤثر سلبًا على مستقبلها، وكان برنامج المدائح النبوية في خير البرية؛ الذي قدمه سالم عبر إذاعة القرآن الكريم قد أثار جدلاً واسعًا؛ خاصة في ظل اتهام الصوفيين بالسعي إلى اختراق هذه الإذاعة والسيطرة عليها.

۞ طقوس صوفية:

ويحتفل الصوفيون بمناسبات المولد النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج، والنصف من شعبان، وذكرى معركة بدر؛ بالطريقة التي يحتفل بها نظراؤهم حول العالم؛ من تلاوة أوراد، وإقامة حفلات الأكل والمشروبات.

كما لهم مجالس ذكر وإنشاد، منها: حلقة بني حميل التي بدأت عام (١٩٧٥م)؛ حيث كانت تعقد في أحد المنازل في منطقة شرق بالكويت العاصمة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى محافظة حولي (إحدى المحافظات الست الكويتية)؛ حيث كانت تعقد في مدرسة بيت المقدس، ثم انتقلت إلى منطقة

خيطان في عام (١٩٩١م)، وروادها يجتمعون في ليلة الجمعة؛ انطلاقًا من أن هذه الليلة لها خصوصية لديهم، وأنها ليلة تجلٍّ، ويشارك فيها المصريون الصوفيون.

وهناك -أيضًا-: حلقة ذكر تقام في منطقة تسمى: الحساوي، منذ (١٩٩٦م)، ويحضرها السوريون، والكويتيون الرفاعيون، وينتمي بعض المشاركين في هذه الحلقات إلى طرق مختلفة؛ كالشاذلية، والبيومية، والرفاعية، والخلوتية، والنقشبندية، وتتألف حلقة الذكر من (١٠٠ - ١٢٠) ذاكرًا.

ولا يعرف على وجه الدقة أعداد الصوفيين الكويتيين، فهم يرون أنفسهم كثرة، وأن طريقتهم لديها أتباع ومريدون عديدون، ويتواجدون بشكل لافت في محافظة الجهراء، إلا أن خصومهم -من السلفيين تحديدًا- يقولون: إنهم قلة محدودة، وإن خطورتهم لا تكمن في كثرتهم أو قلتهم، بل في ترويج البدع، والأساطير، والكرامات الخارقة المصادمة للمعتقدات الإسلامية الصحيحة؛ التي وردت في الكتاب والسنة.

وهناك من يقول: إن مساحة التصوف في الكويت تراجعت بعد ظهور النفط وطغيان الجانب المادي.

فيما يرى آخرون: أن الوفرة المادية لم تحقق للكثيرين السعادة، فبدأ بعضهم يتخذ من الصوفية وأورادها ملاذًا لاستشعار الأمن النفسي والروحي.

كما لا يعرف -أيضًا- عدد الطرق الصوفية في الكويت، وإن أشارت المصادر إلى وجود مختلف الطرق المنتشرة في العديد من البلاد العربية والإسلامية.

وتعزو المصادر انتشار الفكر الصوفي في الكويت إلى عوامل عدة، منها:

اتساع مساحة الحرية التي تتمتع بها الكويت، وتعيين أئمة ومؤذنين من مختلف البلاد العربية في المساجد التابعة لوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، وبعضهم ينتمون إلى الصوفية؛ ويعكسون أفكارها في خطبهم ودروسهم.

كما أن الفضائيات ووسائل الإعلام تلعب دورًا كبيرًا في هذا الشأن؛ لا سيما في ظل حرص بعض المتصوفة على استخدام هذه المنابر في البيان والتوجيه.

يضاف إلى ذلك: حرص الصوفيين على عدم الخوض في السياسة.

❁ بيادر السلام:

وكما هو حال العديد من التيارات الإسلامية في الكويت في السعي إلى إنشاء الجمعيات الخيرية، والمؤسسات التعليمية والتربوية؛ فقد أسس المتصوفة: «جمعية بيادر السلام النسائية» سنة (١٩٨١م)، وقد أنشئت هذه الجمعية بدعم من الشيخ يوسف الرفاعي في الأوساط النسائية، وتشرف على عدد من المؤسسات التربوية، ومنها: مدرسة القطوف الخاصة، وحضانة السلام، وحضانة دار الفرح، ورأست مجلس إدارة الجمعية دلال عبد الله العثمان.

وتربط بعض الروايات بين الجمعية والطريقة النقشبندية في سوريا.

كما تنشط الجمعية في مناصرة القضايا الإسلامية، وإقامة الأسواق الخيرية لصالح المنكوبين هنا وهناك، وتنظيم المسابقات في حفظ القرآن الكريم.

❁ الكرامات والخوارق!

ويغالي صوفيو الكويت في طقوسهم؛ إذ يعتبرون أنفسهم أصحاب كرامات ومواقف خارقة للعادة، ويؤرخون لها بأنها ظهرت في عهد خلفاء شيخ طريقتهم أحمد الرفاعي عندما احتل التتار العاصمة العراقية بغداد، وأخذوا يرمون المسلمين في النار، ويقتلونهم بالسيوف، فتصدي لهم أنصاره، وأبطلوا سلاحهم عن طريق مسك النار، وضرب السلاح، وهو الأمر الذي جعل بعض التتار -حسب الرواية الصوفية- يعتنقون الإسلام.

كما يسوق الصوفيون في أدبياتهم روايات كثيرة؛ يحاجون بها خصومهم، ويتحدونهم أن يأتوا بمثلها، وتتجلى إحداها في أن شيخ الطريقة الرفاعية بسوريا تحدى وفدًا روسيًّا، وطلب من أحد أعضاء الوفد أن يسدد رمية رصاص

إلى قلبه، مشترطًا عليهم أنه في حالة إذا لم يصب بأذى؛ فليدخل الوفد في الإسلام!

كما يستدلون -أيضًا- على كراماتهم بأن السفارة الروسية في مصر عانت إبان حكم الرئيس عبد الناصر من وجود حية، فشل في إخراجها الدفاع المدني، وعندما أتوا بأحد الفلاحين المنتمين إلى الطريقة الرفاعية نجح في إخراجها، ويبرر الصوفيون مثل هذه المواقف بأن الله يجري هذه القدرة على يد من يشاء من عباده.

۞ المتصوفة والشيعة:

زعيم المتصوفة في الكويت يوسف الرفاعي يؤمن بأنه شيعي على طريقته؛ إذ يقول: «أنا شيعي؛ وفق مفهومي الخاص، لكنني سني العقيدة، شافعي المذهب»!

لذلك يعتبر متصوفة الكويت أقرب أهل السنة إلى الشيعة؛ لما يعلنونه في طقوسهم وأنشطتهم من حب آل البيت، ومن ثم فالعلاقة بين الجانبين تبدو حميمية.

وقد تطورت هذه العلاقة في الآونة الأخيرة إلى الإعلان عن تأسيس مركز للحوار السني الشيعي؛ بهدف نزع فتيل الاحتقان بين السنة والشيعة، والبحث عن القواسم المشتركة بين الجانبين.

ويحظى المركز برعاية الرابطة العلمية العالمية للأنساب الهاشمية بالسعودية، ودعم عدد من الشخصيات الكويتية المحسوبة على المتصوفة، ومنهم: يوسف الرفاعي، والدكتور يوسف الشراح، والشيخ حمد سنان، ومن الجانب الشيعي: عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين: الدكتور أحمد حسين، والداعية مصطفى الزلزلة.

ويسعى المركز إلى تنظيم مؤتمر بالكويت لمناقشة قضايا الحوار السني الشيعي، ومحاولة إزالة أسباب الخلاف؛ تمهيدًا لتعميم هذا النشاط على كل الدول التي تضم سنة وشيعة.

وللرفاعي جهود في مجال التقريب بين السنة والشيعة؛ إذ سبق له أن طالب الشيخ الراحل حسن الشيرازي والشيخ حسن الصفار بضرورة الاتفاق على أن يقوم السنة بإدانة كل من يسيء إلى أهل البيت، ويناصبهم العداء، في مقابل أن يُدين الشيعة كل من يتهجم على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة رضي الله عنهم.

ولا يرى الرفاعي مانعًا من الذهاب إلى المجالس الحسينية؛ للاحتفال بذكرى رحيل أئمة الشيعة، غير أنه يفضل الاحتفال على طريقته الخاصة مع أنصاره، عبر ختمة القرآن الكريم وإهدائها إلى روح الإمام وأهل بيته من شهداء كربلاء.

۞ المتصوفة والسلف:

إذا كانت التجاذبات بين التيارات الإسلامية -بصفة عامة- أمرًا واقعًا لا يمكن إنكاره؛ لاختلاف الرؤى والاجتهادات، فإنها في حالة اشتباك السلفيين مع الصوفية -ذات خصوصية-، والسؤال البدهي في هذا السياق: كيف يمكن للصوفيين أن يروجوا أفكارهم في مجتمع يرى معظم سكانه أنها طقوس بدعية، وشركية، وعبثية، ومخالفة للكتاب والسنة؟

ومنذ ظهور متصوفة الكويت والمعارك والمساجلات بينهم وبين أئمة وشيوخ وكتاب الفكر السلفي لم تهدأ، فقد كتب الأب الروحي للتيار السلفي في الكويت مجموعة من المؤلفات التي تناولت العديد من الجوانب في الفكر الصوفي، ومنها: «فضائح الصوفية»، و«الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة»، و«الاحتفال بالمولد النبوي»، و«الحقيقة الصوفية»، و«ابن عربي صاحب كتاب «فصوص الحكم»... إمام من أئمة الكفر والضلال»، و«بين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن عربي».

هذه المؤلفات استخلص منها الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق القول بأن التصوف «أعظم فتنة ابتلي بها المسلمون قديمًا وحديثًا، فقد تلبست للمسلمين برداء الطهر، والعفة، والزهد، والإخلاص، وأبطنت كل أنواع الكفر، والمروق، والزندقة، وحملت كل الفلسفات الباطلة، ومبادئ الإلحاد

والزندقة...؛ فأدخلتها إلى عقائد الإسلام وتراث المسلمين؛ على حين غفلة منهم، فأفسدوا العقول والعقائد...، ونشروا الخرافات، والدجل، والشعوذة، ودمروا الأخلاق...»، إلى غير ذلك من الانتقادات الموثقة بالأدلة والبراهين؛ سواء من أقوال أقطاب المتصوفة، ومن ممارساتهم، أو من مقولات أئمة السلف.

وفضلاً عن ذلك؛ دخل عبد الخالق وغيره من شيوخ السلف في حوارات ومناظرات تليفزيونية وصحفية، واتهموا الصوفيين بالغلو في الأنبياء وأولياء الله الصالحين، والعمل على نشر البدع العقائدية، والأخلاقية، والأساطير، والخرافات، وفي كل مرة ينتهي الحوار باتساع الهوة بين الجانبين واستحالة التلاقي.

ويدافع المتصوفة عن طرقهم بأنها أسهمت في نشر الإسلام في إفريقيا، وأن الجيوش الإسلامية لم تصل إلى نيجيريا، وكينيا، وأوغندا؛ وإنما الذي نشر الإسلام في هذه الدول هي الطرق الصوفية، كما أن التصوف منهج سلام وعدالة؛ يركز على تحبيب غير المسلم في أخلاق المسلمين، ولا يحث على استخدام أسلحة القوة، والتكفير، والتفسيق، متهمين السلفيين بأنهم يبحثون في الدفاتر القديمة، وأن وحدة الوجود (أي: وحدة الخالق والمخلوق» التي تكلم عنها ابن عربي، والتي كثيرًا ما يستشهد بها السلفيون قد أخذها من فلاسفة اليونان، والحديث عنها نوع من الترف العقلي، وأن التصوف في رأيهم مدرستان:

الأولى: مدرسة سلوكية إيمانية، ملتزمة بالكتاب والسنة؛ كالطريقة الشاذلية، والرفاعية، وغيرهما.

والثانية: مدرسة فلسفية؛ كابن عربي، وابن سبعين.

وأن المدرسة السلوكية تتبرأ من فكرة وحدة الوجود، مستدلين بأن أحمد الرفاعي يقول: إنه يكفر من يقول بوحدة الوجود؛ إذا قصد به أن الخالق من جنس المخلوق.

h *** g

العرب وإيران: الجيرة الصعبة

عبد الله خليفة الشايجي «الاتحاد الاماراتية» (٢٠٠٩/٠٥/٠٣)

استكمالا لمقالتي السابقة التي حملت عنوان: «إيران والعرب صداقة أم خصومة؟».

أتطرق -الآن- إلى المشهد العربي الإيراني؛ حيث تسعى إيران على الدوام بعقلية تاجر «البازار» الشاطر الذي يستغل ويوظف كل فرصة سانحة في المنطقة؛ سواء بسبب أخطاء وتخبط واشنطن، أو بسبب ضعف وعدم قدرة العرب على تشكيل وصوغ موقف واستراتيجية متماسكة، على تسخير تلك الفرص إلى عامل قوة تستغلها طهران لزيادة أوراق قوتها، وتعزيز رصيدها، وتمكينها من الإمساك بمفاصل القضايا الرئيسية في المنطقة؛ لتقايض وتساوم عليها.

ومن خلال تلك المواقف؛ تكسب إيران التعاطف الشعبي العربي والإسلامي، وتبرز بردائها الإسلامي لتقود محور «المقاومة والممانعة».

ماذا ننتظر -كعرب- حتى نتحول إلى رقم صعب في معادلة الأمن الإقليمي، ونوقف تدخل وتكسب الآخرين -جميعًا- من قوى إقليمية على حسابنا، وفي مناطق نفوذنا؟

ولكن إيران في سعيها إلى أن تصبح الدولة المحورية في المنطقة، ومن خلال ما تراه من فرصة مواتية بغياب إدارة بوش الأيديولوجية، ومجيء إدارة أوباما الواقعية البراجماتية؛ التي تنهج الانفتاح على خصوم واشنطن، مثل: إيران، وكوبا، وفنزويلا.

تحاول توظيف تلك المقاربة الأميركية الجديدة؛ لتجعل منها فرصة يجب أن تخرج منها بربح، وذلك رغم وصف التقرير السنوي للخارجية الأميركية إيران بأنها: «الدولة الأكثر رعاية للإرهاب» في العالم، وأشار التقرير إلى دعم إيران لـ«حزب الله» و«حماس»، وللمتطرفين في العراق، ول «طالبان» في أفغانستان.

لا شك أن العلاقة بين إيران والعرب كانت وتبقى **علاقة مأزومة**؛ يعتريها الكثير من التنافس والشك، وبحاجة إلى الكثير من عوامل الثقة؛ خاصة في السنوات القليلة الماضية من رئاسة نجاد والدور الإيراني المتعاظم في المنطقة.

وتكتسب تلك السياسة زخمًا أكبر في ظل المتغيرات العالمية والإقليمية، مثل: حاجة واشنطن لدور إيراني بناء؛ لتسهيل الانسحاب العسكري الأميركي من العراق، ولتلعب دورًا بناءً في أفغانستان، وحتى للسماح لقوات حلف شمال الأطلسي باستخدام الأراضي الإيرانية لنقل العتاد العسكري إلى أفغانستان.

وهناك الدور الإيراني في الخليج، ولبنان، وغزة، وهكذا تسعى إيران للاستئثار الإقليمي، و«لملء الفراغ» الاستراتيجي، وصولاً بالمطالبة بإدارة العالم والظهور، كما لو كانت المدافع الأول عن القضايا الإسلامية، والقدس، و«المقاومة»!

طهران تهدف إلى إحراج الحكومات والأنظمة العربية المعتدلة؛ والتي تنتهج سياسات مغايرة للأسلوب الإيراني؛ الذي يسير في اتجاه تحقيق الأهداف التي تقلق أغلبية العرب؛ سواء الدور الإيراني في العراق، وفلسطين، ولبنان، والتدخل في الشؤون العربية، والإساءة إلى أمن واستقرار العديد من الدول والمجتمعات العربية.

تبقى العلاقة بين العرب وإيران علاقة مأزومة؛ كما كانت عبر التاريخ، وبدلاً من تطور هذه العلاقة لتصبح علاقة استراتيجية، وموئلاً للتعاون والتنسيق والتكامل الاستراتيجي والأمني والعسكري والتجاري، لتشكل عمقًا للعرب؛ لنستقوي بإيران، وتستقوي بنا بسبب رابطة الدين، والتاريخ، وحقائق الجغرافيا والاستراتيجية.

h *** g

العفاني: حسن نصرالله خميني العرب

«ميدل ايست أون لاين» (٢٠٠٩/٥/١٢) - باختصار

كان لنا مع الشيخ سيد حسين العفاني هذا الحوار في مكتب محاميه عمرو اللبودي؛ الذي يتولى الدفاع عنه في الدعوى المرفوعة ضده من د.أحمد راسم النفيس –أحد رؤوس المشروع الشيعي- أمام إحدى المحاكم المصرية.

بدأنا الحوار مع الشيخ العفاني بإطلالة سريعة على كتابه المعنون بـ: «خميني العرب: حسن نصرالله، والرافضة الشيعة: الشر الذي اقترب»؟

فقال: «إن الكتاب نشرته المواقع الشيعية وتداولته، وقد تلقيت أكثر من تحذير يقول: «خذ حذرك! فقد يفعلون بك شيئًا»، دافعت فيه عن الصحابة الكرام، وعقيدة أهل السنة، ونبهت فيه إلى خطورة المشروع الشيعي المدعوم من الغرب».

يقول الشيخ العفاني: «لقد انخدع بحسن نصرالله كثير من الدهماء والعامة؛ بل والدعاة والمفكرين، أمثال: الشيخ حافظ سلامة، ومحمد سليم العوا، وغيرهم، أثنوا عليه وعلى مواقفه البطولية، ولقبه صحفيون علمانيون بسيد المقاومة! ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن صحيفة «الكرامة» المغربية خرجت تحرف في آيات القرآن الكريم، وتصفه بأنه هو الذي جاءت البشارة به في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] زورًا وبهتانًا!!».

ووصف العفاني «شعبية» نصرالله بأنها: «من الخبط! خبط عشواء لدى بعض ممن يتكلمون من المفكرين الذين ينتمون إلى التيار الإسلامي»، وقال: «حسن نصر الله -هذا- كان لديه (١٢٠) ألف صاروخ، لم يطلق منها صاروخًا واحدًا على شمال «إسرائيل»، بل إن علي السيستاني وخامنئي إيران أفتيا بحرمة تطوع الشباب الإيراني أو العراقي بالقتال في صفوف حركة المقاومة الإسلامية حماس!».

ولدى الإشارة إلى أن حزب الله امتنع عن مشاركة

المقاومة، أو حتى دعمها أثناء المحرقة على غزة، قال الشيخ العفاني -نقلاً عن شيخ الإسلام ابن تيمية-: «إن الشيعة كانوا دائمًا في الخط المعادي لأهل السنة، وقد تحالفوا قديمًا مع الأعداء؛ كما فعل ابن العلقمي -الوزير الشيعي- الذي تحالف مع هولاكو، وتسبب في سقوط بغداد، وقتل آلاف العلماء والنساء والأطفال، كما عادوا السلطان سليمان القانوني؛ الذي اخترقت فتوحاته جنبات القارة الأوروبية؛ حتى وصل إلى النمسا، وبودابست، واليونان، والبوسنة، والهرسك، والميدان الرئيسي في فينا، وقبل أن تستسلم الجيوش الأوروبية؛ طعنه الشيعة الصفويين في مؤخرة جيشه؛ ما أضطره إلى التراجع، ووقف الفتوحات في قارة أوروبا».

وأضاف: «أما فلسطين؛ فالذين ضيعوها بدايةً لن يحرروها، فمن ضيعها بدايةً هم الشيعة في عهد الدولة الفاطمية في مصر، فأثناء الحملة الصليبية لاحتلال بيت المقدس لم يرفعوا سيفًا واحدًا، بل إنهم فاوضوا الصليبيين على ترك القدس لهم، بشرط أن تنتهي حملتهم على عسقلان؛ بدون أن يقتلوا، وبالفعل سقطت القدس؛ لامتناع الفاطميين الشيعة عن الدفاع عنها».

وقال العفاني: «حسن نصر الله -هذا- كان عضوًا في منظمة «حركة أمل» الشيعية، وحزب الله -هذا- انبثق عن منظمة «حركة أمل» الشيعية، ومعروف الماضي الأسود لمنظمة أمل الشيعية في قتال الفلسطينيين في لبنان! حتى إنهم اضطروهم إلى أكل الجيف والقطط والكلاب، وارتكبوا جرائم ضد اللاجئين الفلسطينيين أفظع مما ارتكبها اليهود، فكان لا بد من توضيح صورة هذا الرجل!

كما أنه جاء في نص الميثاق الذي أصدره حزب الله في عام (١٩٨٥)، القول: «إننا نمثل طليعة الحركة الإسلامية في العالم؛ التي مرجعيتها تتمثل في الولي الفقيه في هذا الزمان: «روح الله الخميني»، ونقتدي بكلام محمد باقر الصدر، الذي يقول: «ذوبوا في الإمام الخميني؛ مثلما ذاب الخميني في الإسلام».

وذكر الشيخ العفاني: «حزب الله اعترف بأن مرجعيته الدينية والفقهية إيرانية، ولم يخجل من ذلك، والخطورة أنه كما تحولت إيران من دولة سنية إلى دولة شيعية على يد شيوخ جبل عامل في جنوب لبنان، مثل: الكركي؛ حيث تسبب في قتل نحو مليون سني في عهد إسماعيل الصفوي، وكان الرجل السني يقدم لاختباره في سب عمر وأبي بكر وعثمان، فإن لم يوافق تقطع رقبته في الحال، والشيعة يريدون تطبيق ذات الحالة في أكثر من بلد؛ مثلما حدث في إيران؛ عندها سنسمع سب الصحابة عقب صلاة الجمعة؛ كما هو الحال في جنوب لبنان».

وعن حقيقة الاختراق الشيعي لبعض فصائل المقاومة على الساحة الإسلامية، قال الشيخ العفاني: «إن التغلغل الشيعي في حركة الجهاد الإسلامي معروف، وقد سمعنا جميعًا على فضائية «قناة الجزيرة»، مسؤول كبير في حركة الجهاد الإسلامي يقول: «ما من صاروخ أُطلق أو قذيفة هاون إلا ولعماد مغنية -مسؤول عسكري في حزب الله؛ تم اغتياله- حسنات فيه»».

وعن المواجهة مع الدكتور أحمد راسم النفيس؛ الذي يعد أحد رؤوس المشروع الشيعي في مصر، قال الشيخ العفاني: «إن هذا الرجل من سفهاء الشيعة، وهو يتكلم بكل صفاقة ووقاحة عن الصحابة؛ يطعن فيهم، بل ويسبهم، بل ويكفرهم! فيقول عن معاوية بن أبي سفيان ﵁ الصحابي الجليل: «رأس الإلحاد الأموي، بل هو رأس الكفر والنفاق»، ويقول عنه -أيضًا-: «شيطان ماكر»، ويقول: «إن السيدة عائشة ﵂ مسئولة عن: إزهاق أرواح عشرات الآلاف من الصحابة في موقعة الجمل بمسيرتها الغوغائية»، ويقول: «إن جمل عائشة كان مثل عجل السامري»، وأما الصحابي الجليل أبي هريرة، فيقول عنه: «بلا أبو هريرة بلا أبو بتاع!»، أما الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﵁ فيقول عنه: «كان ظالمًا، وكان ديكتاتورًا، وكان ذلك سببًا في قتله»».

وأضاف العفاني: «هذا الرجل يواصل طعنه في رموز

الأمة، مثل: ابن خلدون، والقاضي أبي بكر بن عربي، ولم يسلم من لسانه كذلك القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي، والأدهى من ذلك: أنه يطعن في رمز ثمين من رموز الأمة، وهو صلاح الدين الأيوبي! يقول عنه: إنه لص، وسارق، وقاتل»!!

وقال العفاني: «إن هناك صحوة إسلامية عظيمة في مصر ترتبط بالكتاب والسنة، أما الدور الشيعي؛ فيتواجد وسط شباب لا يعرف كثيرًا عن عقائد الشيعة؛ وخصوصًا الاثني عشرية، ولا يعلمون شيئًا عن تكفير علماء الأمة للشيعة الاثني عشرية؛ الذين قالوا بتحريف القرآن، ونصوا على الإمامة، وقالوا: إن لأئمتهم مكانة لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب، فهم يدعون أن عددهم يصل إلى نصف مليون أو مليون، ولكن هذا كلام هراء، وإن شاء الله يرد الله كيدهم في نحرهم».

وأشار الشيخ العفاني الى كتاب «وكيل الله.. أم وكيل بني أمية؟!»؛ الذي أصدره الدكتور النفيس، وهاجم فيه عددًا من الصحابة، قائلاً: «إن هذا الكتاب كتاب إجرامي كبير، يسخر فيه مؤلفه من الشيخ القرضاوي والغزالي؛ فضلاً عن تطاوله وسخريته من أسياده الصحابة الكرام، فقد تطاول على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقذفها بتهم كثيرة وبهتان عظيم، كما تطاول على سيدنا طلحة، والزبير بن العوام رضي الله عنهما، وحرف فيه وقائع موقعة الجمل؛ وفق افتراءاته الشيعية».

وحول مستقبل مشروع التقريب بين المذاهب؛ الذي تبناه الأزهر -قديمًا-، وتبرأ منه دعاته -حديثًا-؛ وعلى رأسهم: الدكتور يوسف القرضاوي، قال الشيخ العفاني: «الذين خاضوا في مشروع التقريب رجعوا بخفي حنين! واعترفوا بخيبة أملهم في الشيعة، ومنهم: الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي، المرشد العام للإخوان المسلمين في سوريا، والأستاذ سعيد حوى؛ حيث ألف كتاب «الخمينية: شذوذ في الفكر والمواقف»، والشيخ محمد حسين مخلوف؛ حيث تكلم عن خداع الشيعة، وأيضًا الشيخ محمد رشيد رضا؛ حيث تكلم في الشيعة الرافضة كلامًا قويًا».

وحذر الشيخ العفاني (الإخوة والطلائع المجاهدة في حماس وغيرها من فصائل المقاومة) من طلب العون من إيران، وقال: «حذار! فقد تستطيع شراء سلاح من أي مكان، أما إذا انقلب شراء السلاح إلى مولاة؛ فحذار! ثم حذار!!».

ودعا خالد مشعل -رئيس المكتب السياسي لحركة حماس- إلى التراجع عما قاله في إيران عن مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي بأنه «أمير المسلمين»!

وكذلك الدكتور أحمد يوسف -مستشار رئيس الوزراء الفلسطيني إسماعيل هنية-؛ حينما سُئل: لماذا تحتفلون بعماد مغنية وهو قائد عسكري موالٍ لإيران؟ فقال: «إن الشيعة حزب هذا الزمان»، وهذا الكلام نشره موقع «الحقيقة»، وهو موقع أهل السنة في فلسطين؛ وبعد ذلك اعتذر الدكتور أحمد عن هذا الكلام، لكنه كان اعتذارًا باهتًا!

فنقول لإخواننا: أنه الآن في بعض مناطق غزة يُسب أبو بكر وعثمان وعمر، فحذار من الرافضة! حذار من الرافضة!! حذار من الرافضة!!!».

الفضائيات التبشيرية الشيعية على الأقمار الصناعية السنية!

الهيثم زعفان «المصريون» (٢٠٠٩/٥/١٥)

بينما كنت أقلب قنوات التلفزيون على القمر الصناعي المصري؛ فإذا بي أتوقف أمام عالم دين شيعي، أثار أزمة عقدية مؤخرًا في الكويت؛ بإساءاته الموجهة لصحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عن أصحابه، ولأمهات المؤمنين -رضي الله عنهن-.

وإذا بالرجل -ذي العمامة السوداء، واللحية السوداء، والعباءة السوداء- يتكلم على مدار ساعة بكلام أشد سوادًا! نحو عقيدة أهل السنة والجماعة، مكثرًا من الطعن غير المباشر في أهل السنة باستخدام احترافي لشبهات يصطنعها هو، ويعجز عن ردها المشاهد السني غير المحصن بالأدلة الشرعية.

فكرت مليًّا في هذا الأمر! ثم قمت بالبحث الدقيق فيه؛

فوجدت أنني أمام تبشير شيعي ممنهج؛ يقتحم بيوت أهل السنة والجماعة؛ من خلال الأقمار الصناعية التي تشرف عليها حكومات أهل السنة!!

وهالني الرقم الذي قمت بإحصائه عن تلك القنوات!

فالقمر الصناعي المصري «نايل سات»؛ عليه (٣٤) قناة شيعية، موزعة ما بين قنوات للأطفال، قنوات إخبارية وحوارية، قنوات اقتصادية وتعليمية، قنوات فنية وتراثية، وأخيرًا القنوات الدينية؛ التي تمثل الأكثرية في القائمة.

أما بالنسبة للقمر الصناعي «عرب سات»؛ فعليه حوالي (١٣) قناة شيعية، وغالبهم موجود على النايل سات.

وجميع تلك القنوات تصاغ مادتها الإعلامية وفق العقيدة الشيعية، وموجهة لخلخلة عقيدة أهل السنة والجماعة، بل والسعي لتشييع أكبر قدر ممكن منهم.

وفي ظل المطامع الفارسية للدولة الإيرانية في المنطقة العربية -وبخاصة مصر-؛ فإن وجود هذه القنوات على قمر صناعي مصري يشكل خطورة غير عادية على الأمن القومي المصري، وتكوين قطاع عريض من المصريين المفتونين بالرموز الشيعية، بل والمتشيعين -أحيانًا-، وحينها سيكون ولاؤهم لإيران وليس لمصر.

كما أن خطر التشيع والولاء لإيران وقتها قد يطول بيوت المسئولين أنفسهم، والمستقبلة لهذه القنوات عبر التلفاز؛ لتختل دوائر المسئولية مستقبلاً.

لذا؛ ومن باب الحفاظ على العقيدة السنية للمصريين، وحراسة الأمن القومي المصري؛ ينبغي اتخاذ عدد من الخطوات الدفاعية والاحترازية الهامة في هذا الشأن، والتي منها:

١- ضرورة قيام الحكومة المصرية بالوقف الفوري لتلك القنوات التبشيرية الشيعية من على القمر الصناعي المصري.

٢- تشكيل لجان فحص، تضم خبراء حاذقين بالشأن والملف الشيعي، مهمتها رصد وصد الاختراق الشيعي للإعلام السني والبلدان السنية.

٣- تكثيف الجرعات الإعلامية السنية؛ لتوعية أهل السنة بخطورة المد الشيعي، وفساد الطروحات العقدية عندهم، ومواقفهم الفاسدة من القرآن، والسنة، والصحابة، وأمهات المؤمنين.

٤- ضرورة حذف -وليس تشفير!- كافة القنوات الشيعية من على أجهزة الاستقبال المنزلية من قبل رب البيت السني؛ حتى لا تكون أسرته وأبنائه الصغار، بل وهو نفسه صيدًا ثمينًا في يد مبشري الشيعة.

وأخيرًا؛ إذا احتج أحد بأننا في عصر السماوات المفتوحة، وهم يمارسون التبشير الشيعي لمذهبهم مستخدمين في ذلك كافة التقنيات المتاحة، ويمكنك أن تلاعبهم بنفس الطريقة؟!

نقول: إنه إذا كان الشيعة يمارسون التبشير الشيعي داخل البلدان السنية بتمويل إيراني؛ من خلال (٣٥) قناة ناطقة باللغة العربية، ومنطلقة من القمر الصناعي المصري والعربي؛ **فإن إيران لم ولن تسمح بأن يوجد على أرضها قناة واحدة سنية تدعو للمذهب السني، وتنطق باللغة الفارسية.**

ثمة حقائق... والمؤخرات عارية

جهاد الخازن «الحياة» (٢٠٠٩/٠٥/٠٣) - باختصار.

قوة إيران لا تخيفني.. ضعف العرب يخيفني.

بصيغة أخرى: إيران قوية بقدر ما العرب ضعفاء.

إيران بلد مفلس! منتج للنفط؛ ولا بنزين فيه، يحكمه رئيس أهوج؛ فوقه الحاكم الفعلي.

ماذا يخيف العرب في إيران؟ يخيفهم برنامجها النووي، وأطماعها في الخليج، وامتدادها وراءه، **دول عربية كثيرة**

تستطيع أن تنفذ برنامجًا نوويًا أكبر كثيرًا مما عند إيران، وهذه الدول تستطيع أن تنتقل من برنامج سلمي إلى برنامج عسكري؛ إذا ثبت أن لإيران برنامجًا عسكريًّا، **غير أن الدول العربية لا تفعل**؛ وإنما تقلق من البرنامج الإيراني! **وهي إن لم تقلق من النيات النووية**؛ فإنها تقلق من الأطماع الفارسية القديمة والباقية.

غير أن الناس لا تطمع في الأقوياء، فلا أحد يطمع في أميركا، أو الصين، أو روسيا، أو حتى في اليونان، وايطاليا، والدول مثلهما؛ التي تحميها ديموقراطيتها، الطمع -دائمًا- في الضعفاء، ونحن «حيطة واطية»! إذا كان لي أن استعمل لهجة أبو عمار المصرية، وأبوابنا مشرّعة لكل طارق.

الدول العربية إن لم تقلق من هذا أو ذاك؛ تقلق من لهجة محمود أحمدي نجاد؛ وهو طبل أجوف! سرق شعارات عربية قديمة؛ من دون أن يواجهه العرب بغير الخوف أو القلق! أو طلب الحماية من أطراف سيكون ثمن حمايتها أعلى كثيرًا من خطر إيران!!

في (٢٠) من الشهر الماضي اتهم محمود أحمدي نجاد اسرائيل بالعنصرية، وانسحب مندوبون غربيون من مؤتمر الأمم المتحدة ضد العنصرية في جنيف احتجاجًا.

إسرائيل دولة عنصرية ألف مرة، وأحمدي نجاد لم يكتشف ذلك بنفسه؛ وإنما سرق موقفًا عربيًّا قديمًا؛ ففي سنة (١٩٧٥) أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة -بعد حملة عربية- قرارًا ساوى بين الصهيونية والعنصرية، وهو قرار ألغي بعد سنوات بضغط من الولايات المتحدة.

وعندي ألف اعتراض على السياسة الإيرانية؛ من البحرين، وجزر الإمارات الى مصر، والمغرب، وغيرها، لكن اسرائيل تبقى دولة عنصرية.

منذ (٢٠ نيسان) والعرب يتابعون الحملة الغربية على أحمدي نجاد، وهم ساكتون عن قضية هي لهم قبل إيران، السكوت علامة الرضا! فهل هم سكتوا لأنهم لم يعودوا يعتبرون اسرائيل دولة عنصرية، وإذا كانوا كذلك، فهل موقفهم هذا اعتراف متأخر بأنهم أخطأوا سنة (١٩٧٥)؟!

إسرائيل دولة عنصرية، قادتها يريدون أن يقبل العرب بها دولة يهودية، أي: لعنصر واحد أو دين، ووزير خارجيتها يطالب بترحيل أهل البلد الحقيقيين والوحيدين من بلدهم، بما أن عنده رعاعًا من مواخير مولدوفا يسكنون في بيوتهم.

لماذا لا يقف زعيم عربي ويقول: إن اسرائيل دولة عنصرية؟! ويسترد موقفًا عربيًّا قديمًا، بدل أن يترك الرئيس الإيراني ينتحله لنفسه! ويكسب به شعبية رخيصة في الشارع العربي!!

ثمة حقائق لن يغيّرها دفن الرؤوس في الرمال؛ والمؤخرات عارية:

- **إيران تنفذ برنامجًا نوويًّا،** يمكن أن يتحول من سلمي إلى عسكري.
- **واجب الدول العربية القادرة -ونصفها قادر-:** أن تنفذ برنامجًا مشابهًا. (واجبها كان أن تسبق إيران إلى البرنامج النووي).
- **إيران لن توقف برنامجها،** وأميركا ستفاوضها وهي ماضية فيه، وإذا اتفقتا؛ فالاتفاق على حساب العرب وحدهم.
- **الاخوان المسلمون أقاموا صلات مع إيران** أيام آية الله الخميني، وهي صلات توقفت أيام محمد خاتمي؛ خصوصًا بعد (٢٠٠٧/٩/١١)، وعادت مع أحمدي نجاد، وهل يعقل أنني أعرف هذا، ولا تعرفه دول عربية؟!

حول مخاوف «التشييع» مرة أخرى

ياسر الزعاترة «الدستور الأردنية» (٢٠٠٩/٢/٢٦)

في قصة التشييع التي تثار بين حين وآخر: قليل من المنطق، وكثير من السياسة وتناقضاتها، مع قدر كبير من الإساءة لأهل السنة والجماعة؛ سواء صدرت تلك القصة عن

بعض الأنظمة ومن يدورون في فلكها، أم صدرت عن بعض المحسوبين على الصحوة الإسلامية؛ فضلاً عن صدورها عن متأمركين يكرهون الدين والمتدينين؛ أيا يكن مذهبهم!

من المثير بالطبع: أن نعثر على معزوفة التشييع عند أنماط من تلك الأصناف جميعًا، الأمر الذي يثير الكثير من الريبة لدى المراقب؛ فضلاً عن الحريص على دين الله ومصالح الأمة، مع أننا لا ننفي أن من بين من يتحدثون في هذا الشأن مخلصون يعتقدون بأن الشيعة خطر، وأنهم يمارسون التقية، وأنهم عملاء لإيران الصفوية أو الفارسية المعادية للعرب، إلى غير ذلك من المقولات.

ما ينبغي أن يقال ابتداءً هو: إن أكثر إخواننا الشيعة قد ورثوا مذهبهم -تمامًا- كما ورث السنة مذهبهم، وأن قلة من بين الطرفين قد غيّر مذهبه، ما يعني: أن كل طرف يؤمن بأنه الأقرب إلى الصواب، ولذلك فإن تكفير هؤلاء أو هؤلاء بالجملة لا يمكن أن يكون صحيحًا بحال.

كل ذلك لا ينفي ضرورة تفكيك هذه المعضلة في الإطار الذي نحن بصدده هذه الأيام، والمتمثل في الحشد ضد الشيعة وإيران، الأمر الذي يطرح السؤال التالي: هل إن هذه الأنظمة التي تتولى كبر الحشد معنية بالفعل بمذهب أهل السنة؟ أم أنها تفعل ذلك من أجل أهدافها السياسية التي تلتقي -غالبًا- مع أهداف نخبها الحاكمة أكثر من أهداف الشعوب والأمة؟

هل تنسى الأنظمة التي تحشد ضد الشيعة -هذه الأيام- كانت ترفض ذلك في مرحلة سابقة؟

وهل نتجاهل أن من يحشدون ضد إيران وحزب الله لا يفعلون ذات الشيء مع حلفاء إيران الشيعة في العراق، لأن الأمريكان لا يسمحون بذلك؟

ألا يعني ذلك: أن الموقف لا علاقة له بالدين؛ بقدر علاقته بالسياسة، وهنا -تحديدًا- ينبغي أن نسأل عن المصلحة السياسية في تقديم الخطر الإيراني على الخطر الأمريكي الصهيوني؟

وهل مثل هذه الأجندة مخلصة للأمة؟ أم أنها جزء من منظومة تقف على النقيض من مصالح بعض الأنظمة؟

من المؤكد أن لإيران مشروعها في المنطقة؛ وهي قوة كبرى معنية بالتمدد والنفوذ، ولكن تركيا السنية لها ذات الطموح -أيضًا-، وعندما يتحدث أردوغان في كل مناسبة عن أجداده العثمانيين؛ فإن لذلك دلالته المعروفة، كما أن أحدًا لا يرفض أن تكون لمصر -على سبيل المثال- طموحاتها في التمدد والنفوذ، وقد كان لها شيء من ذلك أيام الحقبة الناصرية.

لم يمنع أحد الدول العربية الحريصة على السنة ومواجهة التشيع من مساعدة السنة العرب في العراق؛ كما ساعدت إيران الشيعة، لكنها لم تفعل.

ثمة بعدان مهمان هنا: يتعلق الأول بالإساءة التي توجه إلى مذهب أهل السنة؛ عندما يصور هشًّا يمكن لأي أحد أن يهدده، مع أنه مذهب الغالبية الساحقة من الأمة، كان -ولا يزال- بسبب ما يملكه من منطق متماسك، وانتماء إلى روح الدين، وليس بسبب السطوة السياسية؛ كما يشيع البعض، بدليل أن شيعة حكموا في فترات مختلفة أكثر مناطق العالم الإسلامي، لكن مذهبهم بقي محصورًا في مناطق معينة.

البعد الثاني هو: الصورة التي يعطيها مثل ذلك الخطاب لمذهب أهل السنة عندما يكون الشيعة في مربع التصدي للكيان الصهيوني والولايات المتحدة، بينما يقف الطرف السني في مربع حصار الفلسطينيين، وملاحقة المقاومة، والخضوع للإملاءات الخارجية.

لقد آن أن يعيد العقلاء النظر في هذه المقولات، ولا يركنوا إلى ما تقوله بعض الأنظمة، لأن بوصلة جماهير الأمة وقواها الحية ينبغي أن تبقى في الاتجاه الصحيح، وهي كذلك رغم الحشد الإعلامي؛ من دون أن ننفي تأثر البعض بالحملة السائدة.

h *** g

نحن لا نملك عيونًا لمن لا يرى في وضح النهار

د.طه الدليمي - مشرف «موقع القادسية»- (٢٠٠٩/٥/٨)

لم يكن أمامي إلا أن أُجيبه بكلمة واحدة: «عذرًا! فنحن لا نملك عيونًا لمن لا يرى في وضح النهار».

كان يعظ، ويعترض، ويتحدث بكلمات تنضح بالخيال، بينما شواخص الأرض تنطق بغير ما يتخيل ويقول! كان هذا في يوم من الأيام، **واليوم... ما زال بعض الخائضين يتغافل عن الواقع؛** ليضرب -في وضح النهار- على معزوفة التهوين من خطر إيران، ويسفه المخاوف من مشروعها، ويقحم الإسلام إقحامًا في الموضوع.

ولا يكتفي! حتى يلمز المخالف بالسذاجة، أو العمالة، أو التطرف! ويرجع ذلك إلى تداخلات السياسة؛ فكل الذين يحذِّرون الأمة من خطر إيران، أو يستغيثون من جرائمها: مدفوعون من خارج ذواتهم، ينفذون أوراقًا سياسية أعدت لهم سلفًا، فهم: إما عملاء مأجورون، أو ساذجون لا يعلمون، وإن رأوا الخطر بأعينهم، ولمسوه بأيديهم.

لماذا لا يكون العكس هو الصحيح؟! فالمتهِم أولى بالتهمة! لكنه يراوح بين حيلة فكرية أو أخرى نفسية؛ ليرمي بسيئاته خارج ذاته!

أما الحيلة الأُولى: فالهجوم خير وسيلة للدفاع.

وأما الثانية: فـ «الإسقاط»، تلك الخصلة النفسية التي بها يلقي المحتال بنواقصه ونواقضه على الآخرين.

نحمد الله -تعالى- أن الأمور تتكشف يومًا بعد يوم؛ فالثوب يتمدد كلما تقدم الزمن بحبَل غير مشروع، ما عاد التستر ينفع معه كثيرًا، وإن أغمض المتغافلون أبصارهم! واستغشوا ثيابهم!!

﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:١٩٨].

هل بقي أحد لم يسمع بالحزام الشيعي وهلاله؛ الذي يكاد اليوم يصير بدرًا؟

أم تخلف خائب لا يعلم بالكوارث التي ألحقتها جارة السوء بالعراق -عمومًا-، وأهل السنة -خصوصًا-؟

لن أتكلم عن الحوادث، أو الشواهد، والتفاصيل؛ لأن الخلاف -كما قيل- خلاف نفوس؛ لا خلاف نصوص، ولأني لا أملك عيونًا لمن لا يرى الواقع في وضح النهار! إنما أقول: هل بقي من البشر من لا يعرف بهذه الحقيقة؟! وصدق الله إذ يقول: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾[يونس:٤٣].

المفارقة: أن بعض هؤلاء صحفيون وإعلاميون! وإسلاميون ضمن خط «المقاومة» -أيضًا-! فهل هؤلاء في عصر أهل الكهف؛ فلم يتابعوا أحداث العراق؟!

اسأل اليوم أي عراقي من مختلف الصنوف والاتجاهات الدينية، والعرقية، والسياسية، عن: إيران، وعداوتها، واعتداءاتها ضد العراق؛ التي يسميها البعض -تخفيفًا- بـ: «التدخلات»، حتى إنه -قبل أيام- تشكلت حركة شيعية باسم: «حركة تحرير الجنوب»! موجهة ضد الاحتلال الإيراني؛ حتى الحكومة العراقية -ورغم علاقتها الحميمة بإيران- تعترف وتتكلم اليوم عن «تدخلاتها» في شؤون العراق! والقصف الإيراني للحدود العراقية تجاوز المدفعية إلى الطائرات المروحية، والطائرات الموجهة عن بعد تسرح وتمرح في سماء البلد!

أما المشروع الطائفي وعمليات التشييع؛ فلا أظن أمثال الأخ «ياسر الزعاترة» يخفى عليه كيف تحولت البصرة خلال نصف قرن إلى مدينة شيعية بعد أن كانت سنية؟ وفي الفترة نفسها غزا التشيع بغداد! حتى يكاد اليوم يتغلب عليها؛ ناهيك عن مناطق أخرى، ودعك من تشييع إيران نفسها بعد أن كانت سنية!!

ومع هذا؛ وجدته يقول: «ما ينبغي أن يقال ابتداءً هو: إن أكثر إخواننا الشيعة قد ورثوا مذهبهم؛ تمامًا كما ورث السنة مذهبهم، وأن قلة من بين الطرفين قد غيّر مذهبه، ما يعني: أن

كل طرف يؤمن بأنه الأقرب إلى الصواب، ولذلك فإن تكفير هؤلاء أو هؤلاء بالجملة لا يمكن أن يكون صحيحًا بحال». «الدستور الأردنية» (٢٦/ ٤/ ٢٠٠٩).

ما علاقة التكفير بالموضوع؟ هل كان الخوارج كفرة حتى يقاتلهم سيدنا علي فمن بعده؟ وهل يرضى السيد الزعاترة أن أقتل ولده وأحرق داره؛ فلا يقتص مني؛ بحجة أنني وإياه مسلمان لا يصح تكفيرنا بحال؟ **ما علاقة هذا بهذا؟! إذا صار العاقل يزن الذهب بميزان البطيخ!!** فلا يلومن من وصمه بالجنون! أم يراد تحويل دفة الكلام إلى مسألة يكثر فيها الجدل؛ ليضيع أصل الموضوع؟!

❁ التشييع الاجتماعي:

يتكلم السيد الزعاترة عن طريقة واحدة من طرق تغيير الفكر والمذهب؛ ألا وهي: الطريقة الفكرية الفردية، وفاتته الطرق الأخرى، وهي الأخطر! وليست هذه معضلة الرجل فقط؛ إنما هي معضلة فكرية مزمنة عند الدعاة، تناولتها في كتابي «لا بد من لعن الظلام» قبل أكثر من سبع سنين، وخطبي ومحاضراتي قبل حوالي عقد من الزمن.

تعتمد إيران على وسائل التغيير الجماعي لا الفردي، والتشييع الاجتماعي لا الفكري، ومن أخطرها وسيلة: «التوطين» الشيعي في المناطق السنية، هكذا شيعوا كثيرًا من مناطق عراقنا.. بالتوطين! الذي لا يختلف عن توطين اليهود في مناطق العرب في فلسطين، رغم عدم تحول الفلسطيني إلى يهودي، بل المشكلة الفلسطينية ولدت أساسًا بهذه الطريقة، وليست بطريقة الدعوة والتحول.

هل يقبل مني السيد زعاترة أن أرد عليه بضاعته فأقول: إن أكثر «إخواننا» اليهود قد ورثوا دينهم؛ تمامًا كما ورث الفلسطينيون دينهم، وأن قلة من بين الطرفين قد غيّر دينه، ما يعني: أن كل طرف يؤمن بأنه الأقرب إلى الصواب؛ فعلام الخوف من التوطين اليهودي؟ وإن ذبحوا أبناءكم! واستحيوا نساءكم! وأخربوا دياركم!

لا بأس؛ فأنتم إخوة في أصل الخلقة، وعليكم أن تتعايشوا، وتحلوا مشاكلكم بالحوار، ما مثل الوردة -يا سِيدي!- يقف في وجه الطلقة!

قبل أيام قليلة؛ طالب محافظ كربلاء بسلخ قضاء النخيب عن الأنبار، وضمها لكربلاء، ربما لن يتشيع أهل النخيب بالسرعة المنظورة، ولكن طبقًا لقاعدة «الأواني المستطرقة» ستكون إيران على حدود الأردن! وسيكون ضخ النفط من الجنوب الشيعي إليها مباشرة، وبعد مدة ستبدأ المساومات الاقتصادية؛ لكسر الإرادة الأردنية، والتغلغل الاقتصادي الشيعي في الأردن محاولاته جارية، وله اليوم وجود، بهذا -أيضًا- يحققون عزل الأنبار عن السعودية!

هذا مظهر من مظاهر الخطر الإيراني الشيعي! أما تشييع النخيب وما بعدها؛ فآتيك لا تعجل!

ومن مدة ليست بالقليلة سمعنا بمحاولات بناء مرقد سيدنا «جعفر بن أبي طالب» ﷺ في مدينة «الكرك» الأردنية؛ على الطريقة الإيرانية، وإقامة تجمعات شيعية للطم والنياحة في بعض المواسم؛ كما يجري توطين شيعي خفي في المنطقة.

هذه أخطار إيرانية شيعية تتهدد القطر الأردني الشقيق، مطلوب منك أن تتحسسها، وتنذر قومك منها، بدل التغاضي عنها، والتهوين من شأنها؛ حتى تقع الكارثة لتقول: ها؟! والله ما كنا ندري!! كما قالها الكثيرون في بلدنا بعد الاحتلال، وقد أنذرناهم من قبل فلم يفيقوا!

التشييع الاجتماعي (بالتوطين والتحكم بالسياسة والاقتصاد) أخطر من التشييع الفردي، إنه بعد مدة -تطول أو تقصر- يؤدي إلى ظاهرة لم تنتبهوا إليها، وهي: التحول الجماعي إلى المذهب الآخر، بدل تحول أفراد من المجتمع، على أن التحول الفردي موجود -أيضًا-.

والطريقة الجماعية هي طريقة الإسلام، وقد اتبعها النبي ﷺ، وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[النصر:٢]، عندما سيطر النبي على مكة «أم القرى» ومهوى أفئدة الناس، ومركز تطلعات العرب، سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا، وصارت خاضعة لحكمه مباشرة؛ بدأ التحول الجماعي في عقائد الناس، بعد أن كان فرديًّا، وتحقق النصر أخيرًا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[النصر:١]، النصر بتحول المجتمع ككل؛ لا كأفراد، وهي الطريقة التي طبقها الصفويون في إيران، وخلفاؤهم في جنوب العراق، وبغداد، وتطبق اليوم في سامراء وغيرها من مدن العراق.

والمسلسل ماضٍ ما دام في الأمة «عباقرة» لا ينتبهون إلى الخطر؛ حتى تصل النار إلى جلودهم!

❁ طريقة التومان:

وللنائمين أقول: تمعنوا فيما يجري اليوم في مدينة (٦ أكتوبر) المصرية! والحبل على يد الجرار، والكارثة قريبة منكم يا أهل فلسطين! وعندها فقط ستدركون؛ ولكن بعد فوات الأوان، أن التومان الإيراني ملغوم بالسموم، وأن من ابتلعه من قياداتكم لم يكونوا يسعون في صالحكم؛ وإن لم يكونوا يشعرون، أو كانوا ربما!

يوم يتشيع في غزة حفنة آلاف لا أكثر، فتبدأ بين ظهرانيكم مسيرات جلد الظهور، وتطبير الرؤوس، وشتم الخلفاء وأمهات المؤمنين؛ كما هو الحال في بغداد وبيروت، بل والبقيع! ثم تظهر الخلافات العقائدية الحاقدة بين أبناء المجتمع الواحد... وبعدها يبدأ مسلسل الذبح بالعرض على شاشات الأرض!!

وحينها ستلعنون اليوم الذي أراكم فيه مشعل، وشلح، وجبريل وجه خامنئي، وحسن نصر الله، وعماد مغنية؛ قاتل الطيارين، والضباط العراقيين؛ الذين كأنهم ليسوا من العرب، ولا يمتون للفلسطينيين ولا لفلسطين، وغزة، وجنين بصلة! ولا حموا بصدورهم بوابة الأمة الشرقية ثماني سنين! حتى إذا انهارت البوابة؛ تفرعنت إيران واستطال أقزامها.

يا أسفًا على دينار العراق! كيف غلبه تومان إيران؟!

ولكن عذرًا؛ فقد كان صدام حسين يدفع لهم بالدولار؛ لا بالدينار؛ الظاهر أنه لم يكن يدري أن الجماعة في جبهة «ممانعة» ضد الأمريكان.

إن طريقة التومان أحد وسائل «التشييع الجماعي» الخطيرة!

❁ عليل يدّعي الطب:

من أعجب ما جاء في المقال: «هل إن هذه الأنظمة التي تتولى كبر الحشد معنية بالفعل بمذهب أهل السنة؟ أم أنها تفعل ذلك من أجل أهدافها السياسية التي تلتقي -غالبًا- مع أهداف نخبها الحاكمة أكثر من أهداف الشعوب والأمة؟».

ولي أن أسأل -هنا-؛ فأعيد الكلمات نفسها: هل إيران التي تتولى كبر التباكي على فلسطين معنية بالفعل بالإسلام؟ أو مذهب أهل السنة؟ أو بفلسطين أصلاً؟! أم إنها تفعل ذلك من أجل أهدافها السياسية التي تلتقي -غالبًا- مع أهدافها القومية العنصرية؛ أكثر من أهداف الشعب الفلسطيني، وشعوب الأمة العربية والإسلامية؟!

وهل صديقتكم روسيا معنية بشيء من هذا؛ حتى تقيموا معها أحسن العلاقات، وتضعوا أيديكم بأيديها الملطخة بدماء إخوانكم من الشيشان، والأفغان، وغيرهم؛ من عشرات الملايين من شعوب الجمهوريات الإسلامية؛ الذين أبادوهم بالقتل، والتجويع، والتشريد في متاهات سيبيريا الجرداء إلا من الثلوج؟

أم إن الله -جل وعلا- لم يخلق عدوًا سوى أمريكا واليهود؟

أم إن بني البشر يتفاوتون في غلاوة دمائهم: فدم الفلسطيني غير دم العراقي غير دم الشيشاني؟!

أم إنكم -لطول عشرتكم لمن لا يشعرون بغير أنفسهم- صرتم لا تتحسون غير آلامكم؟

أم لأن إيران تتعطف على البعض بما تلمع به قفاها؛ إذن قضي الأمر! فليحترق الدين، والسنة، وأهل السنة في

العراق، والمسلمون في بقية البلدان!

ثم إني أشك بمن يشيح بوجهه عني، وعن أحداث مأساتي، ويضع يده بيد عدوي يدافع عنه، ويهون من شأن جرائمه ومخاطره: أن يكون معنيًّا بي، أو بمذهب أهل السنة، أو بأهل السنة أنفسهم؟! **ولم لا؟!** وهو قد سكت عن مأساة أولي رحمه من الفلسطينيين الذين نحرتهم إيران في العراق، وما تبقى منهم عادوا للتشرد من جديد في أصقاع الأرض؟ **فمن فرط بحق الأقرب فرط، من باب أولى، بحق الأبعد،** على أننا -ولله الحمد- لسنا بحاجة إلى أحد، ولا ننتظر عونًا ممن خذلنا في «عز» مأساتنا!!

❁ **سواسية:**

بعدها: «هل تنسى الأنظمة التي تحشد ضد الشيعة هذه الأيام؛ كانت ترفض ذلك في مرحلة سابقة»؟

وأقول: كما ترفضون اليوم ما رفضوه من قبل، ولكن الفرق: أنهم استيقظوا قبلكم بعد أن وصل الخطر إليهم، وأنت تعرف أن من هو في موقع المسؤولية يستشعر الأمور قبل غيره، فكونوا بمستوى المسؤولية حتى تستيقظوا قبل أن تصل النار إلى أذيالكم؛ فتحرقكم من وراء!

ولا أراني على قدر كافٍ من الجرأة عند ربي، ولا القسوة مع إخواني، لأدعو الله لكم أن تكون إيران بجواركم؛ حتى تذوقوا من طعم إسلامها، وحلاوة تشيعها وشيعتها؛ ما ذقناه منهم جميعًا!!

ولكن لم العجلة؟! ها هي تدور حولكم تخومكم!!

بعدها: «وهل نتجاهل أن من يحشدون ضد إيران وحزب الله؛ لا يفعلون ذات الشيء مع حلفاء إيران الشيعة في العراق، لأن الأمريكان لا يسمحون بذلك؟ **ألا يعني ذلك:** أن الموقف لا علاقة له بالدين بقدر علاقته بالسياسة»؟!

عذرًا سيد زعاترة! إن أحرجتك بتوجيه السؤال نفسه إليك فأقول: وهل نتجاهل أن من يحشدون ضد أمريكا واليهود؛ لا يفعلون الشيء نفسه مع إيران وحلفائها الشيعة في العراق وهم يقتلون الفلسطينيين؛ كما يقتلهم اليهود وأشنع -دعك من العراقيين؛ فهؤلاء دماؤهم ماء!- ، وقد أخرجوهم من ديارهم، وشردوهم في شتى أنحاء الأرض، والفرق في مكان القتل لا في القتل نفسه؟ أم لأن إيران والعلاقة معها لا تسمح بذلك؟ **ألا يعني ذلك:** أن الموقف لا علاقة له بالدين بقدر علاقته بالسياسة؟ ثم من أولى بأن يُطالب بأن يلتزم بضوابط الدين: العلمانيون؟ أم أنتم أيها «الإسلاميون»؟

بعده: «وهنا تحديدًا ينبغي أن نسأل عن المصلحة السياسية في تقديم الخطر الإيراني على الخطر الأمريكي الصهيوني، وهل مثل هذه الأجندة مخلصة للأمة؟ أم أنها جزء من منظومة تقف على النقيض من مصالح بعض الأنظمة؟ ومصالحنا؟»، **ولم لا نسأل نحن سؤالًا مشابهًا** عن المصلحة السياسية في تقديم الخطر الأمريكي على الخطر الإيراني؟

وهل مثل هذه الأجندة مخلصة للأمة؟ أم إنها جزء من منظومة تقف على النقيض من مصالحها ومصالحنا، لصالح بعض الأنظمة والمنظمات والفئات الحزبية؟

هذا إن كانت «قضيتنا» واحدة، أما إذا جزأنا قضايانا -كما هو واقع حال هذه المنظمات والفئات الحزبية-؛ فليفعل كل واحد منا ما يشاء بما يتلاءم ومصالحه الخاصة، دون لوم لا اتهام ولا تخوين.

❁ **ظالم يتباكى من الظلم!**

ويستمر المقال بهذه المغالطات المقلوبة، ولا أريد الاستمرار في إيرادها، غير أن أغرب ما وجدته منها قوله: «من المؤكد أن لإيران مشروعها في المنطقة، وهي قوة كبرى معنية بالتمدد والنفوذ»، ثم يقوم بالالتفاف على هذه الحقيقة الخطيرة بقوله: «تركيا السنية لها ذات الطموح -أيضًا-، كما أن أحدًا لا يرفض أن تكون لمصر -على سبيل المثال- طموحاتها في التمدد والنفوذ، وقد كان لها شيء من ذلك أيام الحقبة الناصرية»، ولا يترك هذه المغالطة؛ حتى يعقب عليها بالتباكي قائلاً: «ما هذا الظلم؟»!

وأعجب من ظالم يدّعي المظلومية!!!

هـل تـدرون مـا معنـى هـذا؟ معنـاه: مـا دام أن الآخـرين يريـدون احـتلالكم، ويخططـون للتمـدد، وبسـط النفـوذ بـين ظهـرانيكم؛ فلـم الاعـتراض عـلى إيـران أن تفعـل الشيء نفسـه بكم؟ اسمحوا لها بذلك؛ دون نكير، ولا شخير!

بمعنى آخر: أن من كان معرضًا للإصابة بمرض؛ ولو على سـبيل الـوهم أو الافـتراض، عليـه أن لا يشـكو ولا يسـعى في علاج مرض خطير قد استوطن جسمه!

❁ **بأي منطق تم تخريج هذا الكلام؟!!!**

هـل يسـمح لي الأخ يـاسر زعـاترة -هنـا- بسـؤال: كيـف تكون التسوية بين دولة بذلت كل ما في وسعها لتحقيق احتلال العـراق، ومسؤولوها يتفـاخرون علنًا بهـذا الفعـل الشنيع، وبين دولـة أخـرى لم تسـمح بـدخول الأمريكـان إلى العـراق مـن أراضيها، وليس لهـم إلى اليوم قنصلية في كركوك المدينة التي يكثـر فيهـا الـتركمان الـذين يهمهـا مصـيرهم؟ قـارن ذلـك بقنصليات إيران المتعددة في محافظات العراق!

لكـن مـا لا ينقضي العجـب إزاءه: أن تقـارن مصر العربيـة السنية، وتساوى بإيران العجمية الشيعية؟

وأسـتسـمح السـيد يـاسر أن أسـأل -أيضًـا-: لـو دخـل إخوتنا المصريون بلاد الرافدين، هل يتوقع أنهم سيفعلون بنا كـما فعلـت الإيرانيـون؟ إذن؛ كيـف يطالـب الفلسـطينيون المصريين بالقتال إلى جانبهم لدخول فلسطين وتحريرهـا مـن اليهـود؟ أليس هـذا -بنـاءً عـلى هـذا المنطـق- اسـتبدال محتـل بمحتل؟ ما هذا المنطق المقلوب؟!

وأضرب لك مثلاً من الواقع القريب: قـوات البيشـمركة تضـامنوا مع القـوى الشيعية عـلى احـتلال العـراق، ووقفـوا مـع المحتـل ضـد المقاومـة السـنية وأهلهـا، وكـانوا يطلقـون علينـا لقـب: «إرهـابيين»، هـذا وهـم في جبال كردستان، لكنهم عندما دخلت قواتهم بعض أحياء بغداد في بعض الفترات التي كانت تصـول فيهـا المليشـيات عـلى مسـاجدنا وبيوتنـا ومناطقنـا أمـام أنظار المحتل وقوى الحكومة، وشـاهدوا الظلـم الواقـع علينـا بأنفسهم: حنوا لأصلهم السني، وانقلبوا؛ فصاروا مدافعين عنا، يحمون مناطقنا ضد هذه المليشيات، فتآمرت عليهم الحكومة، وأخـرجتهم مـن مناطقنـا؛ ليسـتمر مسلسـل الـذبح، لمـاذا هـذه المفارقة؟ لأن هؤلاء ليس في بالهم مخطط حاقد لإبادتنا! هذا وهم أكراد؛ لا عرب.

أفيكـون المصري العـربي أقـل رحمـة بنـا؟ ألم تعلـم أن الأمريكـان كـانوا -ومـا زالـوا- أرحـم بنـا مـن شيعة إيـران؟ وأن بعـض المعتقلـين اليـوم يطـالبون الأمريكـان بالإبقـاء علـيهم في سجونهم، ولا يسلموهم إلى الحكومة «العراقية»؟

❁ **منكم نتعلم ومنكم نتألم!**

لـن أتـابع بقيـة فقـرات المقـال؛ سـوى أن أذكـر الأسـتاذ زعـاترة بـما سطره هـو لا غـيره منذ سنة ونيف فقـط، عـلى إحـدى صـفحات «جريـدة السـبيل» (٢٥/٣/٢٠٠٨)؛ حينما قـال بـالحرف الواحـد: «قبـل عـام ونصـف التقيـت في مبنى إحدى القنوات الفضائية في لندن بنائب الرئيس الإيراني أيام «خـاتمي»، السيد عطاء الله مهاجراني، ولما سألته مباشرة عما تريده إيران في العراق أو من العراق؟ لم يتردد الرجل في القول: إنها تريد دولة تابعة سياسيًّا واقتصاديًّا وثقافيًّا.

وللتذكير؛ فنحن هنا إزاء رجل إصلاحي يعيش في لندن، ويؤمن بحوار الحضارات، وعموم مفاهيم الانفتاح، وهـو ليس مـن التيـار القـومي المتعصـب، ولا حتـى مـن التيـار الـديني المتعصب؛ الـذي يريـد تحويـل العـالم العربي والإسلامي إلى المذهب الشيعي، وبالطبع تحت اللواء الإيراني».

فكيـف إذن لـو كـان مهـاجراني مـن التيـار الـديني المتعصـب؟! وعـلى رأسـه المرشـد الـذي يمسـك بحبـال السياسـة الإيرانيـة كلهـا؟! مـاذا سيقول؟ وبـم سيصرح مـن نوايا وخفايا؟ وماذا سيخرج لنا من خبايا وبلايا؟ لا أرى أخـي السـيد يـاسر الزعـاترة! بحاجـة إلى التـذكير، سـوى أن نسأل الله -تعالى- أن يمنح إخواننا بصيرة بها يرون الواقع على ما هو عليه، وحكمة يتداركون بها أنفسهم قبل فوات الأوان!

سعودي في قم!

حبيب محمود «صحيفة الوطن» (٢٠٠٩/٥/٩)

«رأيتني -من حيث لا أعلم! - أنتسب إلى فصيل الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين.. كيف؟ بماذا؟ أين؟ متى؟ لا أعلم!»

صاحب هذه التساؤلات: مواطن سعودي، وثّق خيبة شخصية تقاسمتها ثلاث دول بين عام (١٤٠٤ و١٤١٤)، هي: سوريا، وإيران، والهند، وتوثيق هذه الخيبة التي مُني بها جيل كامل فيما كان يُسمّى بـ: «المعارضة السعودية»، تمّ في كتاب أثار موجة انتقادات من قبل أعضاء التنظيمات الحركية السابقين للمؤلف عادل اللبّاد؛ الذي إلتقته «الوطن»، وناقشته في كتابه الصادر عن «دار الجمال» البيروتية.

مختصر حكاية الشاب اللباد: أنه سافر إلى إيران متخفيًّا؛ بهدف الانخراط في الدراسة الدينية، لكنه وجد نفسه وآخرين يُساقون إلى معسكر تدريب؛ ليس له علاقة لا بالدراسة الدينية، ولا بالحوزة العلمية، ولا بشيء مما كان يفكّر فيه وهو يغامر بالسفر، مستخدمًا جواز سفر مزوّرًا.

الأكثر إيلامًا في حكايته، هو: تخلّي رجال «الثورة الإيرانية» عنه ورفاقه عام (١٩٨٦)، في توقيت سياسي حرج، ثم طردهم من إيران بعد ذلك بعامين؛ ليدخلوا في حال تخبّط حركي وسياسي، واستمر ذلك حتى عام (١٩٩٣)، وهو العام نفسه الذي أنهى المعارضون معارضتهم وعادوا إلى البلاد ترتيبًا على المصالحة الوطنية التي باركها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله.

❁ خيبة جيل!

الحكاية حكاية حماسة تفوق المعقول، حملها جيلٌ عريض؛ لتكون جزءًا فاقعًا من خيبة موجعة، دُفعت فاتورتها سنواتٍ طويلة من الشباب في «بيع الوهم على الذات»، إنها باختصار: قصة طويلة، زاوج فيها عادل اللبّاد بين السيرة الذاتية، والعمل الوثائقي؛ لتصدر في وثيقة كاشفة عما فاض في (١٣) سنة من العمل الحركيّ، متوقفًا أمام وجع خاصٍّ، وتحديدًا عند نكبة من عُرفوا بالمعارضين السعوديين على يد مزاج الثورة الإيرانية، وتقلّباته الداخلية السريعة والمتوحشة، ليكون المؤلف اللبّاد وقائمة طويلة من الشبّان «الرساليين» ضحية بلا قيمة!

اللباد يروي في ستة فصول على لسان شاب في السابعة عشرة «هاجر» إلى «الجمهورية الإسلامية» منتصف الثمانينيات، الكتاب أثار سُخطًا عارمًا بين رفقاء الدرب؛ الذين يعتبرون ما حدث بين (١٩٨٠ و١٩٩٣) تاريخًا لا بدّ من نسيانه، لكن المؤلف قال لـ «الوطن»: «إنه تاريخ فعلاً، ولكن ليس علينا نسيانه، إنها تجربة جيل باع الوهم على الذات!».

❁ عادل/عارف:

قرّر الفتى المراهق أن يتخلّى عن الدراسة الحكومية، ويتجه إلى مدينة قمّ في إيران؛ فكانت الفكرة هي: أن يُسافر برفقة شقيق له إلى دمشق، ومن هناك يطير إلى «الجمهورية»، الفكرة سهلة، لكن اكتشافه كان أسهل، وحين يتحدث اللباد عن التفاصيل؛ فإنه يوثّق المرة الأولى التي ركب فيها طائرة، فبعد اكتشاف أمره في منفذ الحديثة؛ احتجز وشقيقه والسائق الذي أقلّهما في سيارته بعد اكتشاف محاولتهما تهريب جواز سفر إلى شخص آخر مقيم في سوريا، ونُقل الثلاثة إلى المنطقة الشرقية جوًّا.

تجربة السفر الفاشلة! لم تثنهِ عن تكرار المحاولة، ويروي اللبّاد في التفاصيل كيف منحه صديق له جواز سفره كي يزوره، باستبدال الصورة منه، ويُسافر إلى الكويت، ومنها إلى دمشق فطهران، كلّ ذلك في تفصيلات تشير إلى مستوى عالٍ من التنظيم الحركي؛ الذي أغرى الكثير من الشباب ليتجهوا إلى إيران، ومنحهم أسماء حركية، ينسون بعدها أسماءهم الحقيقية، ويتصرّفون على أساس جديد كليًّا في نظام حياتهم، إنها مرحلة يصفها اللبّاد بـ «غسيل الدماغ».

ويعترف اللباد باسمه الحركي الذي اتخذه لنفسه، وبدلاً من «عادل» صار اسمه: «عارف»، ومع أن طالب العلوم

الدينية لا يحتاج -في العادة- إلى اسم حركي؛ إلا أنه حاول الانسجام مع «التعليمات» الصارمة التي فُرضت عليه وعلى غيره؛ الذين يسافرون إلى العراق أو إيران لدراسة العلوم الدينية الشيعية، لا يحتاجون إلى التخفّي؛ إذ لا أحد يحاسبهم على التحصيل العلمي، لكن اللباد -ابن السابعة عشرة- لم يكن يُدرك ذلك! بل لم يسأل نفسه: هل تحتاج الدراسة الحوزوية إلى كلّ هذه الاحتياطات الأمنية؟

❁ في أرض الثورة:

خضع الشاب اللباد إلى الإملاءات، وحين وصل إلى طهران فرح بوصوله إلى «أرض الثورة» و«بر الأمان»! وظنّ أن الحافلة التي تقله من المطار ستسير نحو حوزة القائم مباشرة، يقول الكتاب: «هدأ زفير المحرّك قليلاً أمام بوابة فيلا فارهة... أخيرًا وصلنا حوزة القائم الرسالية الباذخة ثورية ورفاهًا»، لم تكن حوزة ولا مدرسة! كانت قصرًا فارهًا من زمن الشاه صادرته الثورة، وقد أطلق عليه اسم: «منتظر»، وتمّ تسليمه إلى التنظيم الذي جاء باللبّاد وعشراتٍ غيره؛ ليقيموا فيه ثلاثة أشهر ضمن برنامج تمهيدي لما سوف يكون مفاجئًا للبّاد؛ الذي ظنّ أنه دخل حوزة علمية!

في القصر -الذي تحوّل بعد سنوات إلى مقهى «فرشته»- عاش اللباد ضمن فرق، وتمّ ضمه إلى «فرقة الفاتحين»؛ التي تزاملها فرق بأسماء مماثلة: «المغاوير، الصامدين، المجاهدين، الصاعقة»، وكلّ هذه الفرق تقع تحت اسم واحد هو: «دورة الرسول الأعظم»، وقد امتدّت الإقامة في القصر الفخم ثلاثة أشهر من التعبئة النفسية، لم يرَ فيها أحدٌ من المقيمين الشارع، أو يسمع عن شيء خارج الأسوار! كانت التعبئة النفسية تستهدف: «غسيل دماغ» لبناء الشخصية «الرسالية» التي تنطلق من مفهوم «الثورة» إلى مفاهيم اصطلاحية فضفاضة كثيرة.

ويسخر الكاتب من أدبيات المرحلة التي كانت تروّج مصطلحات: «التفرّغ في سبيل الله» على غرار «التفرغ للإبداع»، أو التفرغ للعمل الفني أو التجاري، ويسوق اللبّاد قائمة من مصطلحات غسيل الدماغ ومسمّيات «الدراسة الدينية»، و «تلبية نداء الله»، و«العمل في سبيل الله»، ويؤكد «استطاعت الحركة جمع العشرات من الأنصار والمؤيدين والموالين، وإقناعهم بالهجرة عن الوطن».

ويشير إلى أن العمل الحركي «شمل إقناع العديد من الفئات الاجتماعية بالهجرة والتفرغ من شباب وبنات؛ وحتى الأطفال دون الخامسة عشرة، مما أحدث ضجة كبيرة في المجتمع وجدالاً حول المنحى الشرعي والأخلاقي»!

وفي موضع آخر؛ يستغرب اللباد من انضمام أميين وأصحاب سوابق في الانحراف والمخدرات إلى حركة تنطلق من مفاهيم دينية!

❁ برامج عسكرتارية!

ويحمل اللبّاد على الخديعة التي لم يصفها في كتابه «كانت البداية في تطبيق هذا الخيار دعوة الشباب للدراسة الدينية، والخضوع لبرامج يغلب عليها الطابع الديني، مع وجود برامج تنظيمية خاصة».

وفي سياق الحكاية؛ كان اللبّاد واحدًا من ضحايا الخديعة، فالـ«برامج التنظيمية الخاصة»، هي التي نقلت اللبّاد وعشراتٍ آخرين من ذلك القصر الناعم إلى أحراش غابة «جنكل»، ومواجهة الحياة العسكرية اليومية بصرامتها، وشراستها، وانضباطها.

في هذا الجوّ؛ تحوّلت الدراسة الدينية إلى مثار سُخرية، لا أحد يُسمح له بالدراسة الدينية التي كانت موعودة قبل الوصول، وقد «اتُخذت إجراءات وقائية للحؤول دون تفشي فيروس التطلع إلى الدراسة الدينية»!

في أحراش جنكل لا مناص من العمل العسكري؛ «فإذا لوحظ أن هناك عنصرًا يبثّ سموم التمني أن يدرس العلوم الشرعية؛ فإنه يُحجر عليه بطوق النصائح والإرشادات، وإذا لم تُجدِ النصائح نفعًا؛ يحال إلى القيادات العليا؛ لتفرغ عليه درر الحكم لثنيه عما يرومه، فإذا عزّ ذلك؛ وبعد عدة محاولات؛ يحال إلى حوزة القائم في ماما زند بطهران»!

❁ يعيش ليموت!

واللبّاد -الذي سافر إلى طهران لطلب العلوم الدينية- يتحدث فيقول: «الأستاذ زكي -مدربنا في صنع المتفجرات الشعبية- يخلط بعض مادة نترات البوتاسيوم السمادي والجلسرين بمعادلات حسابية دقيقة تتحوّل إلى متفجرة!».

ويتلو هذا الكلام تفصيل أوسع: «حقًّا إنه درس ممتع إلى درجة الموت المحدق أمام أقل خطأ!».

هذه هي الحياة التي وجدها، ولا شيء أمامه؛ إلا أن يستمرّ فيها عسكريًّا في النهار، ومتبتّلاً في الليل، «برز التوجه المكثف لأداء صلاة الليل بشكل سافر، بل إلزامي في بعض الأحيان».

يضيف: «وكان لحديث القبور ومنازل الآخرة الزخم الرائع في المواظبة على صلاة الليل»، **الجميع يفكّر بطريقة واحدة هي: أنه يعيش ليموت.**

هذا النوع من التربية استعان بثقافة شرسة جدًّا، فـ «العمل في الحركة هو السبيل الوحيد الذي يقرّب إلى الله»، و«من يخرج من الحركة أو يخالف قراراتها؛ يكون بذلك قد اتبع هواه، وسار في طريق الشيطان»، وأن «من يصبر على المشاكل في الحركة؛ فهو يضع نفسه في مرتبة الشهداء والصديقين»!

❁ احتقار العرب:

سألته عن ارتباط التجربة الحركية بما يُشاع حول الولاء الشيعي لإيران؟ فقال بلهجة حازمة: «هذا كلام نأسف لرواجه، وتجربة الحركة التي عشت في أحضانها سبع سنوات تؤكد أن آخر شيء يُمكن أن يحدث حقيقة هو: ممارسة ولاء سياسي لإيران».

الكتاب بدوره يعرض معايشة ميدانية للداخل الإيراني «يرى كثير من الإيرانيين أنفسهم؛ كما يرى الشعب الألماني نفسه، بعدما عمّق أدولف هتلر في ذهنه أنه شعب آري من أفضل شعوب الأرض عرقًا، وبهذا يجب أن تخضع له جميع الأمم، بل تصبح كل الشعوب عبيدًا له، يأمر فيُطاع... ولا تختلف كثيرًا الغالبية العُظمى من الإيرانيين عن هذا التوجه والنظرة؛ ولا سيّما تجاه العرب؛ **دون النظر إلى توجهاتهم، وانتماءاتهم، وطوائفهم؛** إلا بما يخدم مصالحهم».

هذا كلام الشاهد اللبّاد، ويضيف: «وقد طُردتُ مرة لما كنت أنتظر دوري في مخبز؛ حينما عرف من في الطابور أنني عربي!»، ويسترسل «كنا نحتال على ذلك النفَس الشعوبي المريض! بأن تُعمل لنا بطاقات هوية عراقية تُعلق على جيوب أقمصتنا»؛ لتكون صفتنا أننا: «من المجلس الأعلى المقاوم لحكم صدام، أو منظمة العمل»، على أمل «تخفيف النظرة الدونية المحتقرة!»، وإذا لم تتوفر البطاقة؛ فإن العرب الخليجيين يدعون أنهم «لبنانيون، من جنوب لبنان، ومن حزب الله»، وحين «تفضحنا لهجتنا، أو لغتنا الفارسية الركيكة جدًّا، أو سحنتنا السمراء... فالويل لنا والثبور»!

هذه الشهادة تقرر أن: الشبّان الخليجيين المحتضنين إيرانيًّا ليسوا أكثر من جزء من شعب محتقَر، وعليهم أن يُخفوا هويتهم؛ حتى ينالوا نظرة أقل احتقارًا، والمصلحة السياسية هي وحدها ملاذهم من الويل! وهذا ما يشهد به اللبّاد حين مرّ بفصل الخيبة الأشدّ إيلامًا، وهو الفصل الذي تخلّت فيه الثورة عنهم بعد فضيحة «إيران كونترا».. فكيف حدث ذلك؟

❁ مأساة!

التفصيلات مأساة بمعنى الكلمة! وموجعة إلى الحدّ الذي يبثّ المؤلف تساؤلاته؛ ليترك للقارئ حرية الحكم على كلّ شيء، السخط والغضب يمرّان بهدوء في لغة الكتاب، والنصيب الأكبر من السخط والغضب موجّه إلى الحركة نفسها، وإلى الإيرانيين -أيضًا-.

اللباد لم يكد يتحدّث بشيء عن ما يسمى: «حزب الله في الحجاز»، وحين سألته؛ قال: «إنني شاهد ومُشاهد، حكيت قصة ما رأيت ووعيت، ولستُ باحثًا، أو منقبًا، أو محللاً».

يُضيف: «هذا الحزب كان خارج دائرتنا تمامًا، وكان بيننا

وبينه خلاف جوهري حول العمل... في المملكة»، ويوضح كتابه أكثر بقوله: «لم نكن نرى أن العمل العسكري في المملكة مناسب».

سألته عن أهداف التدريب العسكري الذي كان مُنخرطًا فيه؟

قال: «كانت أهدافنا المتوقعة خارج السعودية»! وأضاف: «من حق القارئ أن يستنتج ما يراه!».

الغريب أن اللبّاد يعترف بأنه لم يكن حتى قياديًا صغيرًا في الفصيل الذي انتمى إليه، ومع ذلك؛ يسرد تفاصيل كثيرة، وقد برر ذلك لـ «الوطن» بقوله: «أكرر ما سبق أن قلته؛ فأنا مجرد شاهد ومُشاهد، وقد رويت ما شاهدته وشهدته بما له وما عليه، وكله في النهاية مرحلة انتهت، طرحتها لتكون عبرة».

❁ **بداية التحرر:**

رحلة الألم الهندية مرت بمحطة مؤقتة، ذات شجن خاص في ضاحية السيدة زينب التابعة لدمشق، كان «لقاء الجنة»! فقد مضت سنوات طويلة لم يرَ فيها أحدًا من أسرته، «عاصف من الأشواق يدفعني إلى أمي وأبي وأخوتي الصغار.. لا أصدق أنني أراهم بعد هذا الفراق الذي جربته لأول مرة في حياتي!»، كان ذلك عام (1407)، حين جاءت أسرته لتقابله وتطمئنّ عليه، رغم علمها المسبّق بأنها لن تتمكن من ثنيه، ثم عاد إلى بنجلور في الهند مجددًا ليواصل عمله الرساليّ، ويُصارع ضغوط رغبته الأولى بالدراسة في الحوزة.

بقي يصارع الرغبة عامًا كاملاً، إلى أن قرّر عام (١٤٠٨) أن يفرض رغبته على التنظيم، وهكذا طار إلى دمشق، ومنها إلى طهران من جديد؛ حيث استقرّ به الحال في قرية «ماما زند»؛ حيث تقع «حوزة القائم»، وهنا تحرر اللبّاد من بزة «جندي تحت الطلب» إلى لباس «طالب علم» ذي عمامة، مشغول بدورات التعليم والدرس.

❁ **التاريخ لا يُعيد نفسه:**

الرحلة لم تنته هنا، ولكن فصولها الموجعة خفت حدتها، «شعرتُ لأول مرة أنني طويت صفحة من حياتي، وبدأت صفحة ثانية.. أحسستُ أنني طائر حر طليق في فضاء الله الواسع.. لقد خالجني شعور بانسلاخ مرحلة الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين، ونموّ مرحلة جديدة داخلي، رغم أن الخطوات مجهولة الطريق بعد»، كانت هذه المشاعر قبل (٢٢) سنة من الآن.

لكنّ اللبّاد طوى صفحات أخرى بعد هذه الصفحة المؤلمة، عاد إلى البلاد محمّلاً بتجربة جيل عرف أنه كان يمارس «بيع الوهم على الذات»، وأن التاريخ يجب ألا يعيد نفسه لدى الجيل الحاضر والجيل المقبل، وأن الكذب لا يجوز أن يُمارَس -مجددًا- على أحد!

ضمانات مهمة في العلاقات العربية الإيرانية، لا تستطيع واشنطن تقديمها..!!

مكرم محمد عبيد «الاهرام المصرية» (٢٠٠٩/٥/٩) - باختصار.

لا أعرف ما هي الضمانات الأمريكية التي قدمتها الولايات المتحدة لكل من القاهرة والرياض؛ خلال الزيارة الأخيرة التي قام بها وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس، تأكيدًا على أن التقارب الأمريكي - الإيراني، لن يمس المصالح الحيوية والأمنية للعالم العربي، ولن يطلق يد طهران كي تلعب مرة أخرى دور الشرطي في منطقة الخليج.

وبرغم أهمية هذه الخطوة الأمريكية؛ فربما يكون من المفيد ألا يركن العرب لهذه الضمانات، وتأخذهم الثقة المفرطة في أن الآخرين يمكن أن يقوموا عنهم بمهمة أساسية تتعلق بالأمن العربي، يحسن بل يجب أن يتحملوا بأنفسهم مسئوليتها، ليس فقط بسبب سوابق عديدة هزت الثقة في الموقف الأمريكي؛ الذي تسبب في هذا الخلل الخطير في توازن القوي الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط والخليج،

الـذي عـزز قـدرات طهـران وأغراهـا عـلى النـزوع إلى الهيمنـة الفارسية مـرة أخرى، ولكـن لأن العـرب يملكـون أدوات قـوة عديدة، ربما تكون أكثر تأثيرًا في الموقف الإيراني؛ لو أحسنوا استخدامها، كـما يـدخل في نطاق مسئوليتهم؛ ولـيس مسئولية غيرهم ملء فراغ القوة الذي تسارع إيران إلى استثماره لإعادة ترتيب أوضاع المنطقة لصالحها، وتقليم قدرتها على استثمار عوامل الضعف داخل الكيان العربي، وبينها العامل الشيعي الذي تعتبره طهران أهم قدراتها الاستراتيجية في المنطقة.

ولا أظـن أن الضـمانات الأمريكيـة التـي حملهـا وزيـر الدفاع الأمريكي يمكن أن تغني، وتكون بديلاً عن حوار جاد ومبـاشر مـع طهـران، يـنهض بمسـئولية العـرب في الوقـت المناسـب، يحـدد منـاطق الاخـتلاف ومنـاطق الاتفـاق في المصالح الإيرانية العربية، انطلاقًا من رؤية عربية مشتركة يتفق العرب على خطوطها الأساسية.

وتخلص أهـم أهداف الحوار المباشر مع طهران: في تعزيـز أمـن واستقرار منطقـة الشرق الأوسـط والخليج، ودفـع التسـوية العادلـة لـلصراع العـربي - الاسرائـيلي إلى نهاياتهـا الصحيحة بقيام دولة فلسطينية مستقلة إلى جوار إسرائيل على أرض الضـفة والقطـاع، عاصـمتها القـدس الشرقيـة، وتنظـيم الجهد العربي الإيراني لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من الأسلحة النووية، مـا دامـت إيـران تؤكـد كـل يـوم أن برنامجهـا النووي برنامج سلمي، لا يستهدف صنع سلاح القوي، ووقف كل صور الاستفزازات الإيرانية لدول الخليج؛ التي تعكر صفو اسـتقرار المنطقـة، والنـأي عـن اسـتخدام العامـل الشـيعي لإضعاف الجهات الداخلية لدول المنطقة، قبل أن يشتعل أوار الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، وتجد المنطقة نفسها -بما في ذلك إيران- في مواجهـة حريـق ضـخم، يصعـب حصـار آثـاره ونتائجه!

وما يثير الدهشة في قضية الصراع العربي – الإيراني: أن يسـعي الـبعض إلى قلـب حقـائق الصـورة، واتهـام العـرب بالعداء المسبق لطهران، وإهدار عوامل الجيرة والأخوة الدينية والمصـالح العديدة المشتركة بين الجانبين، في وقت ينبغـي أن تتكتل فيه كل الجهود لمواجهة العدوان الاسرائيلي المستمر على الحق الفلسطيني.

عـلى حـين تؤكـد الوقـائع: أن العـرب لم يبـادروا إيـران بالعداء، ولم يصطنعوا لأنفسهم عدوًّا بديلاً عن اسرائيل -كما يردد البعض!- ولم يحدث منذ الحرب العراقية - الإيرانية أن حاولـت أي دولـة عربيـة التـدخل في الشـأن الإيـراني، عـلى العكس؛ حاول العرب جهدهم الحفاظ على علاقات حسن الجوار مع إيران باعتبارها دولة مسلمة، ترتبط بعلاقات جوار لصيق، ومصالح ضخمة مع سبع دول عربية، هي: العراق، ودول الخليج الست.

كـما أكـد العـرب مـرارًا وتكـرارًا اعـترافهم بـأن لإيـران مصـالح مشروعـة في منطقـة الشرق الأوسـط والخلـيج ينبغـي احترامهـا، وأن هنـاك مسـاحة واسـعة مـن المصـالح المشـتركة المتعلقـة بـالبترول، والتجـارة الدوليـة، وتنظـيم العلاقـات بـين الـدول المنتجـة والـدول المسـتهلكة للطاقـة، والمـرور عـبر المضايق التي تربط بين العرب والفرس، وأظن أنه من قبيل القول المعاد: إثباتا لحسن النيات العربية تأكيد العرب المستمر على رفض استخدام القوة حلاً للملف النووي الإيراني منذ بزوغ الأزمة وحتى اليوم.

لم يفكر العرب يومًا في استخدام قضية عرب الأهواز الـذين لا يتمتعـون بـأي مـن حقـوق المواطنـة داخـل إيـران للمساس بأمن طهران، ولم يسعوا للتشهير بإيران التي أصدرت في غضون محاكمة سريعة -لم تستغرف (٢٤) ساعة- أحكامًا بالإعدام على (٣٥) من الأهواز العرب، لمجرد الشكوك في ولائهم، ولم يعـترض العـرب عـلى خطـط إيـران التـي تعمـل لتهجير سكان قري الأهواز إلى داخل إيران بعيدًا عن مناطق التخوم العربية.

كـما اعتـبر العـرب ذلـك شـأنًا إيرانيًّا داخليًّا لايجـوز التدخل فيه، ولم يحاولوا إستثمار علاقاتهم الطائفية بأكثر من (٢٠) مليـون مسـلم سـني يعيشـون داخـل إيـران مـواطنين مـن

الدرجة الثانية، لا يحق لهم الحصول على أي من المناصب المهمة، ولايجوز أن يبرز من بينهم وزير، أو حاكم إقليم، أو ضابط كبير، يعيش معظمهم تحت خط الفقر، ويعانون أسوأ صور التمييز العرقي والطائفي، على عكس ما تفعل إيران مع عدد من دول الخليج! لم تكف طهران عن تهديدها والتدخل في شئونها الداخلية بصورة تكاد تكون يومية؛ خصوصًا دولة البحرين إلى حد جعل من العلاقات الإيرانية - البحرينية حالة خاصة، يتابعها المهتمون بأمن الخليج تحت اسم: الحالة البحرينية؛ التي تكشف عن نموذج غاية في السوء لعلاقات إيران بدولة عربية جارة مسالمة، تقوم على الغموض، والاستعلاء، وعدم التفهم، وإنكار عروبتها، وتهديد وحدتها الداخلية، وتتبني إزاءها سياسات متنافرة غير صديقة، تجعل علاقات البلدين في حالة أزمة مستمرة؛ دون مبرر موضوعي، بسبب حرص إيران المتواصل على تصدير مفاهيم الثورة الاسلامية إلى البحرين، وتشجيع بعض فرق الشيعة الداخلية على تبني أفكار ولاية الفقيه، بديلاً عن نظام حكم ديموقراطي يسعى إلى تحسين صورة الحياة في البحرين، إضافة إلى تصدير العنف إلى المملكة بصورة منتظمة؛ حتى إنه لا تكاد تغيب شمس يوم الجمعة من كل أسبوع دون أن يقع نوع من الإخلال بالأمن، يتمثل في صدام مفتعل مع الشرطة، وإشعال إطارات السيارات وسط الشوارع، والقيام بعمليات تخريب صغيرة؛ يتم فيها استخدام متفجرات محلية الصنع، تقوم بها بعض التنظيمات غير الشرعية الخارجة عن سياق التيار الوطني العام؛ التي تنحاز لطهران، وتنتصر لأفكار ولاية الفقيه!

وغالبا ما يعزز هذا الشغب المحلي -بين الحين والآخر- تصريحات إيرانية غير مسئولة؛ تصدر عن شخوص مهمة في النظام الإيراني، أبرزهم: ناطق نوري -كبير مستشاري مرشد الثورة علي خامئني، ورئيس مجلس النواب السابق-؛ الذي لم يتورع عن وصف البحرين في ذكرى انتصار الثورة الإيرانية الأخيرة بأنها الأقليم الرابع عشر من دولة إيران، ومن قبله تصريحات عضو البرلمان الإيراني داريوس فنيري في حضور وزير خارجية إيران، أثناء اجتماعات لجنة الأمن التي أعلن فيها داريوس: أن غالبية سكان البحرين سوف يختارون الانضمام إلى إيران، إذا تم استفتاؤهم الآن، برغم أن أجداد البحرانيين حسموا خيارهم عام (١٩٧٠) عقب الاستقلال، عندما قرروا عروبة انتماء البحرين؛ التي لم تكن أبدًا موضع شكوك أو تساؤل منذ أن سكنت قبائل قضاعة وعبد القيس العربية هذا الإقليم الممتد مابين ساحل الخليج الغربي في المنطقة الواقعة بين البصرة وساحل عمان، قبل أكثر من ألفي عام.

يحدث ذلك؛ برغم أن البحرين دولة مستقلة، عضو في الجامعة العربية، وعضو في الأمم المتحدة، ترتبط بعلاقات دبلوماسية مع طهران، وبرغم أن البحرين لم تحاول يومًا أن تمس طرفًا لإيران؛ التي لا تتورع عن استخدام بعض فرق الشيعة الخارجة عن السياق الوطني لتمرير مخططاتها؛ التي يبدو أن من صالحها دفع دول الخليج إلي تعزيز أمنها الوطني عن طريق تأكيد تحالفها مع الولايات المتحدة، وإسقاط كل المحظورات أمام توثيق علاقاتها مع اسرائيل، دفاعًا عن أمنهم الوطني ضد محاولات الهيمنة الفارسية التي تسعى لاستغلال العامل الشيعي في إثارة القلاقل، وعدم الاستقرار في المنطقة، فيما أصبح يسمى بالحالة البحرينية.

ويعني مصطلح الحالة البحرينية: سعي طهران الدائم إلى تمديد نفوذها في دول الخليج، والعمل على تغيير هويتها العربية عبر ما يسميه البعض: «القوة الناعمة»، اعتمادًا على علاقاتنا الثقافية والروحية والسياسية مع بعض الحركات الشيعية في المنطقة؛ التي تتبنى فكر ولاية الفقيه، وبرغم أن هذا التوجه الذي استمر منذ بدأت طهران تصدير مفاهيم ثورتها، عقب حكم خامئني لا يزال مستمرًا حتى اليوم، باعتراف مرشد الثورة علي خامئني، إلا أن التغيير المهم الذي وقع في العراق -عقب سقوط حكم صدام حسين- حقق فائدة استراتيجية كبرى لإيران؛ مكنها من أن تصبح أكبر الأطراف تأثيرًا في المنطقة، اعتمادًا على علاقاتها الوثيقة مع شيعة

العراق؛ التي أصبحت مصدر نفوذ طبيعي ضخم لطهران يفوق النفوذ الأمريكي، أحال إيران إلى قوة ضخمة، تسعى لاستثمار العامل الشيعي في المنطقة لتغيير معادلة السلطة الوطنية داخل الدول الخليجية، وتغيير موازين القوى في كل منطقة الخليج.

وفي سياق هذا التوتر المتصاعد؛ تكبر الأزمة الطائفية، وتزداد خطورتها، لأن الرؤية الاستراتيجية لعلاقة طهران بشيعة الدول العربية تظهرهم وكأنهم علي استعداد للتخلي عن مصالح أوطانهم في سبيل إرضاء النزعة الفارسية للسيطرة علي دول الخليج، والأكثر خطرًا من ذلك ما يمكن أن يترتب على إفراط إيران في استخدام العامل الشيعي من زيادة شكوك الدول العربية في حقيقة انتماء سكانها من الشيعة، وحرمانهم من بعض الوظائف المتعلقة بالأمن والادارة العليا..، ولولا أن أغلبية شيعة الخليج لا تزال تساند إنتماءها العربي؛ لاشتعلت حرائق الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة، على نحو لا يقدر أحد علي حصار آثاره ونتائجه!

وأظن أن هذا هو مكمن الخطر القادم؛ خصوصًا بعد أحداث فتنة العراق، الذي يحتاج إلى رؤية عربية عاقلة، تحفظ لشيعة العرب كل حقوق المواطنة، وتحميهم من تدخلات فارس؛ التي لا تزال تصر على تصدير نزعة الهيمنة، واستعداء شيعة العرب على دولهم ونظمهم، في الوقت الذي تحرم فيه سنة إيران -الذين يتجاوز عددهم (٢٠) مليون نسمة في البلوش والأهواز- من أبسط حقوق المواطنة!

والأمر المؤكد: أن تجاوز عوامل الفتنة الطائفية، والعمل على حصارها، وتصفية آثارها يدخل ضمن المهام المحض عربية؛ التي لا تستطيع الضمانات الأمريكية التي جاء بها وزير الدفاع الأمريكي أن تفعل إزاءها شيئًا؛ خصوصًا أن الأمريكيين هم الذين ابتدعوا هذه الفتنة، وأطلقوا أفكارها في إطار خطتهم الشيطانية لتفكيك دولة العراق، وليس مجرد التخلص من نظام صدام حسين، وما يحدث في العراق -الآن- من تجدد أحداث العنف، ومحاولة بعث الفتنة الطائفية من جديد، يؤكد أنه ما من حل حقيقي يضمن أمن العراق واستقراره سوى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة، ونبذ الطائفية التي دمرت نسيج الوطن الواحد، لأن العراقيين قبل الغزو الأمريكي للعراق لم يكونوا يعرفون التمييز بين السنة والشيعة؛ الذين كانوا يتجاورون، ويتصاهرون، ويعيشون معًا في أحياء سكنية واحدة؛ دون أية مشاكل.

فيلم «موز» حول زواج المتعة

«**روز اليوسف**» (**٢٠٠٩/٥/١**)

ما بين من يرى أنه يروج لزواج المتعة في المذهب الشيعي، ومن يرى أنه يقتحم مناطق جنسية مسكوتًا عنها في المجتمع العربى.. والمعلومات المغلوطة التى تم تداولها عن الفيلم، ونحاول -هنا- كشفها.

«**مقداد**» **قال لـ** «**روزاليوسف**» **هذه الكلمات**، في اتصال معه، ردًا على سؤال حول ما إذا كان يشعر بأن الحل من أجل أن يقدم أفكاره المختلفة بشكل حر ومستقل، هو: أن يهاجر؟ أم أن يقاوم؟ ولكنه فضل المقاومة.

وفى هذا الحوار؛ لا نتوقف عند الفيلم نفسه بقدر ما توقفنا عند الخلفيات الاجتماعية التي جعلته يخرج علينا بهذا المشروع السينمائي الجريء، وقضاياه المهمة.

(٢٤) دقيقة هى المدة الزمنية التى تستغرقها أحداث «موز» على الشاشة، فهو فيلم روائي قصير من إنتاج (٢٠٠٩)، استغرق تصويره (٣) أسابيع بكاميرا ديجيتال، أى: أنه لا يختلف كثيرًا عن تلك المشاريع المستقلة التي ظهرت مؤخرًا في مصر خلال السنوات الأخيرة.

مشاركته في مهرجان الخليج السينمائي في دبي يعد أول ظهور له، خاصة أن الفيلم أنتج لصالح المهرجان، أو بمعنى آخر: تم شراء حق عرضه لصالح المهرجان.

أما جهة الإنتاج؛ فهي جماعة سينمائية مستقلة، تدعى: «عكس» أي: عكس الاتجاه!

المفاجأة: أن الجماعة تضم «مقداد» نفسه -مخرج الفيلم، ومؤلفه-، بالإضافة إلى شباب آخرين، وحتى الآن أسهمت هذه الجماعة في إنتاج ما يقرب من (٤) أفلام تتناول قضايا تشغل المجتمع العربي بشكل عام، أكثر من كونها تشغل المجتمع الكويتي.

ولكن الذي يوحد هذه الأفلام هو شعار واضح ومحدد: «رياح التغيير قادمة»!!

«أحمد» مهندس شاب في العقد الثالث من عمره، متزوج، ويعاني من برود وفتور في علاقته الجنسية مع زوجته، الأمر الذي يؤرقه؛ خاصة في ظل الهلاوس الجنسية المسيطرة عليه، الأمر الذى يدفعه في النهاية إلى اللجوء إلى زواج المتعة المتعارف عليه في المذهب الشيعي، متخيلاً أنه الحل!!

هذا هو الطرح البسيط لقصة فيلم «موز»، وهو نفسه السبب الذي جعل صانعه يتهم بالترويج لزواج المتعة؛ ولكن وفقًا لما قاله لنا «مقداد»، فإن الفيلم يحفل بدلالات وبقضايا أخرى أكثر سخونة وأهمية، تبدأ من اسم الفيلم نفسه «موز»، ذلك الاسم الذى قال: إنه يحمل أكثر من دلالة!!

أحداث الفيلم تقول: إن «الموز» هو فاكهته المفضلة، ولكن له دلالات وإيحاءات ما يستطيع أن يفهمها المتلقى بدون تقديمها بشكل مباشر، -أيضًا- اسم الفيلم له علاقة بقضية أخرى أطرحها في الفيلم، ولكن بحذر؛ ألا وهي قضية «الشذوذ الجنسي»؛ تلك القضية التي نخشى الاقتراب منها، ولكنها حاضرة في فيلمي بشكل أو بآخر، فـ «أحمد» لديه ارتباك واضطراب في هويته الجنسية! ودائمًا تختلط خيالاته الجنسية بالواقع؛ خاصة أنه يقضي معظم يومه في موقع البناء، وبالتالي تصبح الفرصة متاحة أمام تلك الهلاوس لتأخذ مواقعها، وتبدأ الهجوم بضراوة، بينما يحتل الـ «موز» جزءًا مهمًا من تلك الخيالات، ولكن بشكل غير واضح أو فج.

سألت «مقداد» عن رؤيته هو لمشكلة «أحمد»، وما إذا كان يقدم «زواج المتعة» كحل؟

فأجاب: «مشكلة أحمد أنه يعاني من ارتباك في هويته الجنسية، ولكنه في مجتمع يرفض الاعتراف بهذه المشاكل، وبالتالي يؤثر هذا على علاقته الجنسية مع زوجته؛ حيث يسيطر عليها الفتور، وبالتالي هو يبحث عن بديل، وحتمًا لن يكون هذا البديل رجلاً، لأني أقدمه على أنه شخص متدين يحرص على الصلاة في المسجد، وبالتالي لن يقدم على خطوة كهذه، ولذا يتخيل أن الحل هو: أن يكون هذا البديل امرأة، ويتصور أن الخلاص هو: «زواج المتعة».

حرصت على أن تقدم هذا المضمون بطريقة غير مباشرة أليس كذلك؟

أدواتي في الفيلم هي: الصور، والإيحاءات؛ خاصة في مشاهد الأحلام التي تختلط بالواقع، والتي يظهر فيها حبه الغريب للموز! ويكرر فيها جملة: «باحب الموز» كثيرًا، وأردت أن أترك للجمهور فرصة استنتاج المغزى!

ونحن في حاجة لأن نشير إلى أن «زواج المتعة» يحتل مساحة محدودة من أحداث الفيلم، فهو يظهر في مشهد في المسجد؛ حيث يذهب «أحمد» إلى شيخ يسأله عن زواج المتعة، ولكن ينتهي المشهد قبل أن نستمع إلى رأي الشيخ.

ثم في نهاية الفيلم نرى «أحمد» مع عروسه التي قرر أن يتزوجها وفقًا لأحكام «زواج المتعة»؛ حيث نراهما يتفقان على الثمن الذي سيدفعه لهذه المتعة مقابل مبلغ مالي!

لينتهى الفيلم على مشهد يتخيل فيه أن صديقه القريب منه، والذي نراه معه خلال أحداث الفيلم يقتله بـ «موزة»!

بينما يكون المشهد الأخير لقطة عامة له وهو في الصحراء التي تحفل بعدد هائل من الـ «غتر» الخليجية، ملقاة على الأرض قبل أن يقع هو بينها.

وفيما عدا هذين المشهدين؛ لا توجد مساحة تذكر لـ «زواج المتعة».

سألنا «مقداد» عما إذا كان يقصد هذا أم لا؟

فأجاب: «لقد تعمدت أن يكون موقفي حياديًا للغاية من

«زواج المتعة»، فأنا أقدمه كظاهرة وليس كحل، لم أشأ أن يكون لدي حكم أصدره عليه».

ولكن ماذا عن موقفك أنت الشخصي من «زواج المتعة»؟

ما أستطيع أن أقوله: إنه منتشر في مجتمعنا بدرجة كبيرة، ولكني لا أستطيع أن أبدي رأيي فيه، لأنه موضوع حساس للغاية؛ فضلاً عن أنه بمجرد أن نشر مقال كويتي يتحدث عن فيلمي والقضايا التي أتناولها تسبب لي هذا في مشاكل على صعيد أسرتي التي هي في النهاية أسرة محافظة ومتحفظة.

لم يكن فيلم «موز» هذا هو الأول لـ «مقداد الكوت»؛ الحاصل على ليسانس أداب قسم لغة إنجليزية من جامعة الكويت، ويعمل مترجمًا بوزارة الكهرباء، ولم يدرس السينما إلا عن طريق القراءات، ومشاهدة الأفلام، لأنه لا توجد جهة أكاديمية ما يمكنه من خلالها التعلم.

سبق «موز» فيلمان آخران، أحدهما يمزج بين التسجيلي والروائي اسمه: «مفارقات»، يتناول بشكل ساخر حياة أشخاص ينتمون إلى المجتمع الكويتي، ويعانون من أحداث مأساوية لها علاقة بتركيبة المجتمع نفسه ومشاكله.

أما الفيلم الآخر؛ فاسمه: «جمال عقل خالد»، وهو فيلم نفسي في الأساس.

«الكوت» له تفسير لذلك المنحى المتشائم؛ الذي تسير فيه أفلامه، إن مجتمعنا يحفل بكم من القوانين غير المكتوبة، وبمشاكل نفسية واضطرابات اجتماعية خطيرة، بالإضافة إلى تلك العادات والتقاليد التي تسيطر عليه، وتقتل أحلام الناس وطموحاتهم! ولا تنس -أيضًا- النظرة الرجعية التي يتسم بها معظم الآباء والأمهات!

هناك قضايا وقوانين وأحكام؛ لا نريد التحدث عنها، ونخشى مجرد الاقتراب منها!

وفي مجتمعنا العربي من يملك الجرأة على التحدث عن مشاكله، ومواجهة نفسه بعيوبه؛ يعتبر خارجًا عن القطيع، ويصبح من حق الجميع أن يهاجمه ويصمه بجميع أشكال التهم، لا يوجد لدينا مفهوم اسمه: «نقد ذاتي».

مقداد.. ليس مجرد فرد عادي، وإنما هو جزء من جماعة «عكس» السينمائية، أفكاره هي جزء من أفكار جيل بدأ يكشف عن نفسه فكريًّا وسينمائيًّا في الكويت، كجزء من حركة تغيير أكثر شمولاً تجتاح المجتمعات العربية.

مقابلة مع البحث أيمن الشعبان المتخصص بشأن الفلسطينيين في العراق

«موقع الحقيقة» التابع للجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين.

س١: هل يمكن أن تعطينا بصورة مختصرة حقيقة ما جرى على الفلسطينيين في العراق منذ الاحتلال الأمريكي له؟

الجواب: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

بداية: نشكر لكم هذه الالتفاتة لقضية اللاجئين الفلسطينيين في العراق.

وجوابًا على سؤالك: وجود الفلسطينيين في العراق يرجع لستة عقود، منذ نكبة عام (١٩٤٨)، وعشنا بشكل عام بأمن وأمان لغاية الاحتلال الأمريكي للعراق عام (٢٠٠٣)، حيث انقلبت الأمور بعدها رأسًا على عقب، وبدأت مرحلة جديدة، وحقبة أليمة على نفوس عموم الفلسطينيين؛ الذين يبلغ عددهم قرابة (٢٥٠٠٠) فلسطيني، وانعكس هذا الحدث بشكل واضح عليهم من الناحية المعيشية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية، والدينية، والصحية، والثقافية، وأبرزها الأمنية؛ حيث أصبحوا عرضة لاستهداف بعض الجهات التي جاءت على الدبابات الأمريكية، ولهم أتباع ومناصرين بالأساس داخل العراق، لتبدأ حملات إعلامية موجهة ضد الوجود العربي -عمومًا-، والفلسطيني -خصوصًا-، وتداول شعارات مفادها: «العراق للعراقيين»، و «لا مكان للفلسطينيين في أرض الحسن والحسين»، و «طرد

المستوطنين الفلسطينيين»، وغيرها من الشعارات الطائفية؛ كاتهامهم بالصداميين، أو الوهابيين، أو البعثيين، أو النواصب!!

كل ذلك أدى لحملات مبرمجة ومنظمة؛ من القتل، والتهديد، والوعيد الشديد، وعمليات الخطف من قبل منظمة بدر وميليشيا جيش المهدي، والاعتقالات العشوائية من قبل القوات الحكومية الطائفية؛ حتى سقط لنا أكثر من (٣٠٠) شهيد -بإذن الله-، وتهجير ثلثي العوائل خارج العراق لأكثر من ثلاثين دولة معظمها أجنبية، ولا زالت المخيمات الصحراوية شاخصة لحد هذه اللحظات؛ حتى أصبحت نكبتنا أعظم من نكبة الآباء والأجداد من فلسطين.

س٢: هل يمكن القول بأنه كان هناك تعاون أمريكي رافضي ضد الفلسطينيين في العراق؟

الجواب: في الغالب نعم، وإن لم يكن ظاهرًا؛ لكن الوقائع والشواهد تثبت هذا، والمشروع الأمريكي في العراق بطبيعة الحال يخدم المشروع اليهودي في المنطقة، والمشروع الرافضي في العراق يخدم المشروع الإيراني في المنطقة، وكلا المشروعين التقيا في جزئية الفلسطينيين في العراق، ولو ضربنا مثلاً لذلك عندما هجم عناصر جيش المهدي على مسجدنا ومنطقتنا في مجمع البلديات، واقتحموه، وعاثوا فيه فسادًا، وقاعدة أمريكية كبيرة قرب المجمع، ولم يتدخلوا إلا في النهاية، وكثيرًا ما كانت الميليشيات تقصف وتهاجم المجمعات الفلسطينية؛ ولا يتدخل الأمريكان، وقد لا يكون هنالك توافق أو تنسيق ظاهر وواضح أو مشترك، لكن ممكن يكون هنالك تواطؤ وضوء أخضر من قبل الأمريكان لتلك الميليشيات الرافضية.

س٣: هل كانت هناك محاولات للاتصال بالسلطة الفلسطينية، أو حركتي حماس والجهاد؛ من أجل التدخل لمساعدة، أو إنقاذ فلسطيني العراق؟ وكيف كانت مواقفهم؟

الجواب: نعم، أوصلنا صوتنا وما حصل لنا لجميع الجهات الفلسطينية، وناشدناهم، وطالبناهم بالتدخل المباشر لإيقاف نزيف الدم الفلسطيني في العراق.

لكن -للأسف- السلطة كانت استجابتهم ضعيفة، بل كانوا في الغالب يبررون الاستهداف بأن هذا أمرًا عامًّا لجميع العراقيين، ولا يوجد استهداف مباشر للفلسطينيين، مع أننا وثقنا معظم الانتهاكات التي حصلت بالصور والأفلام والأرقام والأسماء، وأثبتنا بأن غالبية الاستهداف لأننا سنة وفلسطينيون.

والأخوة في حركة حماس لديهم تصور واضح لما حصل لنا، وحاولوا التدخل من خلال علاقتهم بإيران، وتواصلهم مع التيار الصدري؛ من خلال ممثليه في سوريا، إلا أن الأمر أكبر من ذلك، فاستهدافنا جزء من مشروع تشييع بغداد بدعم من إيران، إضافة إلى تقية القوم وعدم مصداقية وعودهم.

وبما يخص الأخوة في حركة الجهاد؛ رغم الأدلة التي قدمت لهم ضد الميليشيات الشيعية التي تستهدف الفلسطينيين، إلا أنهم كانوا يبررو ذلك ويدافعوا.

لذلك الأمر تفاقم؛ لعدم وضع النقاط على الحروف، وعدم دخول البيوت من أبوابها، والابتعاد عن العلاج الحقيقي والداء الفعلي في تلك القضية.

س٤: بنظركم؛ هل يعتبر ما تم بحق الفلسطينيين في العراق هو جريمة على أساس: عقدي طائفي، أم أنه مجرد جرائم حرب؟

الجواب: الاحتلال لا يأت بخير إطلاقا لأهل البلد المحتل، ومن باب أولى الأقليات التي تعيش فيه، فقد حصلت جرائم حرب في العراق لأشقائنا العراقيين؛ ولنا -أيضًا-، لكن في الغالب -وبحسب دراسة قمنا بها-؛ فإن الاستهداف كان على أساس عقدي؛ باعتبارنا سنة وعربًا، وكلاهما تهمة!

س٥: بماذا تردون على من ينفي حدوث مثل هذا؟ ويحذر من الدعوة إلى ما يفرق المسلمين بدعوى الطائفية؟

الجواب: نرد عليهم بعدة أمور:

أولاً: تصريحات عدد من المسؤولين الأمريكيين، والأمم المتحدة، ومنظمة هيومان رايتس ووتش، ومنظمة العفو

الدولية؛ التي مفادها: أن الفلسطينيين تعرضوا لاستهداف وتهجير من قبل ميليشيات شيعية في العراق، ومن يريد نزوده بهذه التقارير.

ثانيًا: التهديدات التي كانت تصل للمجمعات الفلسطينية من جهات شيعية، وحالات القتل والاختطاف معظمها حصلت في مناطق ذات نفوذ شيعي، وقذائف الهاون التي كانت تسقط على مجمع البلديات من مناطق شيعية مجاورة وإيرانية الصنع، والذين اقتحموا جامع القدس وهموا بحرقه وهدمه هم عناصر من جيش المهدي، ومن أراد المزيد؛ فعليه بتصفح موقع «فلسطينيو العراق»، ففيه من الأفلام والصور الشيء الكثير.

ثالثًا: هنالك تواجد لأكثر من (٢٠٠) عائلة فلسطينية في مدينة الموصل، لم نسجل أي استهداف طائفي فيها إطلاقًا!

رابعًا: ما قمنا بتوثيقه وتسجيله من مجريات الأحداث أكبر دليل على ذلك، وأعداد من المختطفين الفلسطينيين الذين نجوا بأعجوبة تم إطلاق سراحهم من حسينيات!!

وإذا أحببت المزيد، لكن أكتفي بذلك خشية الإطالة.

س٦: كلمة توجهونها لمن يفتح أبوابه من الحركات الفلسطينية لإيران أو الرافضة عمومًا؛ متمثلة بكل أحزابها في المنطقة، بدعوى: الدعم والمساندة، أو بحجة أنه لا خلاف بيننا في الأصول؟

الجواب: أبدأ من حيث انتهى سؤالك، **ومتوهم من يقول أو يتصور: إن الخلاف بيننا وبين الرافضة هو في الفروع!** وأنا أدعوهم لقراءة كتب القوم؛ لا سيما المعتمدة لديهم كـ «أصول الكافي» وغيره، **سيجدون الخلاف جذري، وعقدي، وأصولي.**

وأريد أضرب مثالاً واحدًا فقط: المفيد من علماء الشيعة القدامى المعتبرين يكفر عموم الصحابة إلا أربعة، ونقل هذا تأييدًا السيستاني -وهو أعلى مرجع شيعي الآن- في موقعه، ومن يتابع الفتاوى لمراجعهم -كالخميني- يجد العجب العجاب!

لذلك أقول لكل أهلنا وأحبابنا من الحركات الفلسطينية؛ لا سيما المجاهدة منها والمرابطة: إن الريح الصفراء الصفوية القادمة من الشرق خطرها كبير، وضررها عظيم.

والنصر الذي وعدنا الله لا يكون إلا من عباد لله، موحدين، مخلصين، يحبون آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام حبًّا حقيقيًّا، ولا يغالون بهم، وكذلك يتقربون إلى الله بحب الصحابة جميعًا، فعمر رضي الله عنه فتح بيت المقدس، وصلاح الدين حررها.

فوالله.. وبالله.. وتالله لا يكون هنالك فتح، أو نصر، أو تمكين، أو تحرير لأرضنا من قبل أناس يبغضون عمر رضي الله عنه، ويعظموا قاتله! بل جعلوا له مزارًا!! ولا من قوم يكرهوا صلاح الدين!!

أما بما يخص الدعم والمساندة؛ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، والأمة الإسلامية فيها خير كثير، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، **والولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله؛** التي هي أوثق عرى الإيمان، تحتم علينا عدم مجاملة أو مدح أولئك الذين يطعنون بأمهات المؤمنين وبعرض النبي عليه الصلاة والسلام، والنفوس قد جبلت وفطرت بحب من يحسن إليها.

فاحذروا من هذا المزلق! وإنما يقوم أولئك بدعم المقاومة -كما يزعمون!- لتمرير المشروع الرافضي الصفوي في المنطقة، وتصدير الثورة الخمينية.

وشيخ الإسلام رحمه الله يقول: «وكذلك إذا صار لليهود دولة في العراق تكون الرافضة من أكثر أعوانهم»، وهذا مشاهد محسوس، **فمن أعان الأمريكان على احتلال أفغانستان والعراق؟! فلا تكون يا مجاهد يا فلسطيني ممرًا أو معبرًا لدخول التشيع إلى أرضنا الحبيبة المباركة؛ من حيث شعرت أو لم تشعر!**

ممن نبرأ أولاً: من فتاوى الخميني، والسيستاني؟ أم فتوى ابن جبرين، ورأي الكلباني؟

د محمد بن إبراهيم السعيدي «لجينيات» (٢٠٠٩/٥/١٠)

الحكمة المجربة تقتضي من أصحاب القلم واللسان: الصمت عن كثير من الحقائق؛ حين لا يكون ثمة نفع لإعلانها، أو تكون إذاعتها ذريعة لشيء من المفاسد.

أما السفاهة المجربة؛ فهي: أن يفهم هذا الصمت على أنه جهل بتلك الحقائق، أو جبن عن ذكرها!

والمثال التطبيقي للحكمة المجربة هو: صمت علمائنا وقادة بلادنا عن بيان ما يكنه لنا الكثير من الشيعة من عداوة وبغضاء؛ يمليها عليهم منهج تربوي قديم، يتخذ من الحقد عقيدة يتعبدون الله بها؛ كما تصرح بذلك عشرات النصوص من كبار علمائهم في القديم والحديث، زادها اليوم جلاء الكثير من التسجيلات الصوتية للكثير من علمائهم، ودعاتهم، وأهل الرأي فيهم، تنضح بالبغض والعداوة!!

أما المثال التطبيقي للسفاهة المجربة، فهو: استغلال البارزين من كتاب الشيعة لهذا الموقف الرائع لعلمائنا وقادتنا! لملئ الأجواء باتهامنا بالتكفير، والعداء لهم في كل مناسبة، غير مبالين أبدًا بما نقرأه عليهم من نصوص تثبت أن القول المحرر -عندنا- هو عدم التكفير، ودون أن يأتوا هم بنصوص محررة من علمائهم تبرأ من تكفيرنا، واتهامنا بالنجاسة، واستباحة دمائنا!

إن محض السفاهة منهم، هي: محاولتهم القذرة وضعنا في مكان المدافع عن الخطأ، ووضع أنفسهم في محل المظلوم المضطهد المستضعف!

للشيخ ابن جبرين فتوى قديمة جدًّا في تكفير الشيعة؛ لم يوافقه عليها أقرانه من العلماء في عصره؛ كما أنها لا تتفق مع المنقول عن المحررين من علماء السلفية؛ كابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

ومع ذلك؛ ضخموا تلك الفتوى وجعلوها عنوانا **للتوجه السلفي،** متغابين عن كل ما يخالفها من فتاوى أئمتنا الكرام -عليهم رحمة الله تعالى-.

ووصلت قذارة بعض سفهائهم إلى استغلال سفر الشيخ -حفظه الله- إلى ألمانيا، في رحلة علاجية، مطالبين بالقبض عليه؛ وكأنه أحد مجرمي الحرب؛ كأمثال مقتدى الصدر، وأبي درع، وعبد العزيز الحكيم، والأعرجي؛ غير مبالين باحترام العلماء، وذي الشيبة الكبير.

ينهى الشيخ الصفار عن سب الصحابة وتكفيرهم، وتكفير أمهات المؤمنين والوقيعة فيهم، لكنه يفسد كل ما قاله حين يزعم أن مثل هذه الأقوال شاذة في المذهب الشيعي، ومعاذ الله أن يقول الشيعة بها؟!

وهذا الاستدراك؛ هو ما أفسد عليه كل ما أراده من إصلاح، لأنه تعمد التدليس علينا، في وقت لا يغني فيه إلا الصدق؛ حيث العلم متاح، وكشف المخبوء في متناول أصابع اليد، **وكان الأحرى به -لو صدق مع نفسه ومع مجتمعه-:** أن يبرأ من تلك الأقوال، ويبين فسادها، وأنها مخالفة للاجتهاد الصحيح، بدلًا من إنكار وجودها؛ استغباء لنا! ولولاة أمورنا!!

يطالب الصفار خادم الحرمين الشريفين بإقالة الشيخ الكلباني من إمامة الحرم؛ لأنه لم يشك في كفر علماء الشيعة، وهو قول منه -حفظه الله- لا أؤيده، لكنني لا أحتمل مثل هذه المطالبة من الصفار؛ دون أن أسمع منه براءته من أقوال السيستاني في تكفير الصحابة، وتكفير منكر الإمامة! ودون أن أسمع براءته مما ورد في كتبهم من حكمهم علينا بالكفر، والنجاسة على لسان أئمتهم المعاصرين؛ كالخوئي والخميني!!

نعم؛ إن علماءهم يحكمون علينا بالكفر، والنجاسة، والخلود في النار، ويحكون ذلك إجماعًا.

هذه بعض أقوال أئمتهم -للتمثيل فقط لا للحصر-؛ أرسلها للصفار، مع علمي أنه يعلم أننا نعلم بها، لكن بهت

أهل السنة والكذب عليهم أصبح عند البعض عادة تمنعهم من التحري عند إرادة الكذب!

= **قال المفيد**: «واتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد الأئمة، وجحد ما أوجبه الله -تعالى- من فرض الطاعة؛ فهو كافر ضال، مستحق للخلود في النار». «أوائل المقالات» (٤٤).

= **وقال المرتضى**: «والذي يدل على أن المعرفة بإمامة من ذكرنا عليهم السلام من جملة الإيمان، وأن الإخلال بها كفر، ورجوع عن الإيمان: إجماع الشيعة الإمامية على ذلك؛ فإنهم لا يختلفون فيه». «رسائل المرتضى» (٢/ ٢٥١).

= **وقال الخوئي**: «ويمكن أن يستدل به على نجاسة المخالفين؛ من وجوه ثلاثة: الأول: ما ورد في الروايات الكثيرة البالغة حد الاستفاضة: أن المخالف لهم كافر». «كتاب الطهارة» (٢/ ٨٤).

= **وقال -أيضًا-**: «وتدل عليه الأخبار المتواترة في كفر منكر الولاية». «مصباح الفقاهة» (١/ ٣٢٣).

= **ويقول الخميني**: «غير الاثنى عشرية من فرق الشيعة؛ إذ لم يظهر منهم نصب، ومعاداة، وسب لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بإمامتهم: طاهرون، وأما مع ظهور ذلك منهم؛ فهم مثل سائر النواصب». «تحرير الوسيلة» (١/ ١١٩).

هذه بعض الأقوال؛ سقتها أنموذجًا، وإلا فهي عسيرة الحصر، كلها تثبت إجماع علماء الشيعة على كفر مخالفيهم ونجاستهم، فليت شعري! من هي المدرسة التي ينبغي على الصفار استغراب تبنيها للفكر التكفيري؟!

حين يشاع في كل مناسبة: أن الصفار مقلد للسيستاني، ونعلم أن هذا السيستاني من كبار المكفرين لنا، والمعادين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ويأتي الصفار بالتهوين من أقوال التكفير، وادعاء شذوذها، والجرأة على رمي غيره بدائه؛ دون البراءة منها، فإنني لن أتقبل بحال أن ينكر على الشيخ الكلباني -حفظه الله- أي فتوى في هذا الخصوص تصدر منه.

وإذا علمنا أن الخميني -وغيره من مجتهدي الشيعة- يجيزون بهت أهل السنة، والكذب عليهم، والوقيعة فيهم، والحكم عليهم -بالجملة- أنهم: أولاد زنا، ونحن نعلم مدى تعلق قوم الصفار بهذا بهؤلاء العلماء، وبهذا الخميني ودعوته!

ولم نجد من الصفار براءة واضحة، فإننا لن نذهب أبدًا أبعد من كون الصفار في ادعاءاته التقريبية سوى منفذ لمقتضى هذه الفتوى من إمامهم الخميني، حين قال: «غيرنا ليسوا بإخواننا، وإن كانوا مسلمين.. فلا شبهة في عدم احترامهم، بل هو من ضروري المذهب -كما قال المحققون-، بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقيعة فيهم، بل الأئمة المعصومون أكثروا في الطعن واللعن عليهم، وذكر مساوئهما لمكاسب المحرمة». «الخميني» (١/ ٢٥١).

نعم: إننا ما لم نستمع إلى براءة صريحة من مثل هذه الأقوال، فإننا لن نشك لحظة في كون كل العبارات الملتوية التي تصدر عن أمثال الصفار إنما هي محض امتثال لمثل هذه الفتاوى القذرة.

وكلام الصفار في حق الشيخ الكلباني إنما هو مقدمة لموجة؛ لا أشك فيها من ناشطي الشيعة ضد الشيخ ومن كان على رأيه، يتخذون فيها منهج الشيعة القديم في ادعاء المظلومية كلما عن لهم المشي في الفتنة.

ولعل الله -تعالى- أن يلهم أولياء أمرنا الصواب في عدم الاستجابة لأي مطلب من مطالبهم؛ حتى يعلنوا البراءة من فتاوى التكفير، والتضليل، واستباحة الدماء والأموال؛ التي تعج بها كتبهم!

أما الزعم المجرد عن البراءة من إجماع مجتهديهم بكفر مخالفيهم، وخلودهم في النار؛ فهو لن يكون في نظرنا إلا صورة من صور عدم احترامنا.

وأنا أتحدى كل من يضل الناس من هؤلاء، ويزعم أننا أهل تكفير وفتنة: أن يأتي لنا من مراجع الشيعة بقول يداني

هذه النصوص لابن تيمية قال: «...**وهذا يبين أن كل من أقر بالله؛ فعنده من الإيمان بحسب ذلك**، ثم من لم تقم عليه الحجة بما جاءت به الأخبار؛ لم يكفر بجحده، **وهذا يبين أن عامة أهل الصلاة مؤمنون بالله ورسوله -وإن اختلفت اعتقاداتهم في معبودهم وصفاته -**، إلا من كان منافقًا -يظهر الإيمان بلسانه، ويبطن الكفر بالرسول-؛ فهذا ليس بمؤمن، **وكل من أظهر الإسلام؛ ولم يكن منافقًا، فهو مؤمن، له من الإيمان بحسب ما أوتيه من ذلك، وهو ممن يخرج من النار؛ ولو كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ويدخل في هذا جميع المتنازعين في الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم.**

ولو كان لا يدخل الجنة إلا من يعرف الله -كما يعرفه نبيه ﷺ-؛ لم تدخل أمته الجنة! فإنهم -أو أكثرهم- لا يستطيعون هذه المعرفة، بل يدخلونها، وتكون منازلهم متفاضلة بحسب إيمانهم ومعرفتهم، وإذا كان الرجل قد حصل له إيمان يعرف الله به، وأتى آخر بأكثر من ذلك عجز عنه؛ لم يحمل ما لا يطيق، وإن كان يحصل له بذلك فتنة، لم يحدث بحديث يكون له فيه فتنة.

فهذا أصل عظيم في تعليم الناس، ومخاطبتهم بالخطاب العام بالنصوص التي اشتركوا في سماعها؛ كالقرآن، والحديث المشهور، وهم مختلفون في معنى ذلك، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه».

وهذا النص يثبت فيه ابن تيمية الإيمان والإسلام لسائر الفرق المخالفة لأهل السنة ومنهم الشيعة الإثني عشرية.

ويقول ابن تيمية في موضع آخر: «وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين **-من الرافضة، والجهمية، وغيرهم-** إلى بلاد الكفار؛ فأسلم على يديه خلق كثير، وانتفعوا بذلك، **وصاروا مسلمين مبتدعين، وهو خير من أن يكونوا كفارًا**».

ويقول في موضع آخر: «وأما تكفيرهم وتخليدهم؛ ففيه -أيضًا- للعلماء قولان مشهوران، وهما روايتان عن أحمد، والقولان في الخوارج والمارقين من الحرورية، والرافضة، ونحوهم، والصحيح: أن هذه الأقوال التي يقولونها؛ التي يعلم أنها مخالفة لما جاء به الرسول: كفر، وكذلك أفعالهم التي هي من جنس أفعال الكفار بالمسلمين هي: كفر -أيضًا-، وقد ذكرت دلائل ذلك في غير هذا الموضع، **لكن تكفير الواحد المعين منهم، والحكم بتخليده في النار؛ موقوف على ثبوت شروط التكفير، وانتفاء موانعه،** فإنا نطلق القول بنصوص الوعد، والتكفير، والتفسيق، **ولا نحكم للمعين**».

وقال رحمه الله: «من كان في قلبه الإيمان بالرسول، وبما جاء به، وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع -ولو دعا إليها-؛ فهذا ليس بكافر أصلًا.

والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة، وقتالًا للأمة، وتكفيرًا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم؛ لا علي، ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين؛ -كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع-.

وكذلك سائر الثنتين والسبعين فرقة؛ من كان منهم منافقًا؛ فهو كافر في الباطن، ومن كان مؤمنًا بالله ورسوله في الباطن؛ لم يكن كافرا في الباطن -وإن كان أخطأ في التأويل-؛ كائنا من كان خطؤه».

فهذا رائد الفكر السلفي أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المفترى عليه من قبل فتاني الشيعة، نطلب من كتابهم وباحثيهم و ناشطيهم أن يأتوا لنا بقول عن أئمتهم في أهل السنة يداني قول ابن تيمية فيهم؟! **أما إذا لم يأتوا -ولن يأتوا-** فيدعوا عنا دعاوى المظلومية؛ التي فهمناها، ولم تعد تغني عنهم شيئًا! ويبرأوا صراحة من فتاوى التكفير -عندهم- إن كانوا حقًا يطمحون إلى التقريب والعودة إلى التعايش الذي كان بيننا قبل أن تنشب فتنة الخميني في إيران!

مولد «جمهورية الشرق العربية» بإقليم الإحساء والقطيف

«شبكة الدفاع عن الشيخ النمر» (٢٠٠٩/٥/١٠)

في خطوة جريئة وشجاعة - تلبية لدعوة الشيخ النمر - قرر سكان إقليم الإحساء والقطيف إعلان استقلالهم، وتحررهم من تسلط آل سعود، وهيمنتهم على مقدرات سكان الإقليم.

في خطوة تلت خطوات هامة سبقتها في طريق النضال من أجل الاستقلال والحرية، بداية من انتفاضة الحرم (١٩٧٩م) ، وثورة البقيع (٢٠٠٩م) أعلنت قيادات ورموز شيعية معروفة في الداخل والخارج عن إعلان: «جمهورية الشرق العربية»؛ وهي تضم المنطقة الشرقية والجنوبية من جزيرة العرب، مركزها مدينة العوامية بالإحساء والقطيف.

وقد بين إعلان الجمهورية حدود الدولة؛ التي تمتد على شكل هلال؛ يحدها من الشمال: الكويت والعراق، ويحدها من الشرق - بالإضافة إلى الخليج - كل من قطر، والإمارات العربية، أما من الجنوب؛ فتحدها سلطنة عمان، واليمن، وجيزان، ومن ناحية الغرب يحدها إقليما: نجد، والحجاز.

أما علم جمهورية الشرق العربية؛ فقد بين الإعلان أنه ذو ثلاثة ألوان: الأحمر مستطيل من اليمين، يليه الأبيض مرسوم عليه دائرة مفتوحة من الأسفل، ونخلة بلون أصفر ذهبي، ثم اللون الأخضر مستطيل من اليسار.

ويؤكد قيام تلك القيادات والرموز الشيعية بهذه الخطوة المباركة تجاه شعبهم بالإحساء والقطيف؛ عزمهم على تلمس طريقهم نحو المستقبل بالشكل الصحيح والمنظم، وأن هذه الخطوة - والتي ستتبعها خطوات - سوف تبلور - وبكل تأكيد - الرؤية المستقبلية لبلاد الإحساء والقطيف؛ تحت مسمى: «جمهورية الشرق العربية».

إن قرار إعلان الجمهورية جاء بناء على مطالب أهل الإقليم؛ حيث قرر عدد من الأقطاب والرموز الشيعية اتخاذ هذا القرار الهام؛ الذي يباركه أهالي الإقليم عن بكرة أبيهم، وهي بادرة - إن شاء الله - لتأسيس دولة حرة، ذات سيادة لأهالي الإقليم، يتطلع من خلالها شعبها إلى مستقبل، تسود فيه علاقات الأخوة، والديمقراطية، والمساواة بين أبنائها.

إن قرار إعلان الجمهورية لم يكن كما يدّعي البعض: ردة فعل من المعارضة الشيعية بالخارج، بل جاء باتفاق الزعماء الشيعة من داخل الإقليم ومن خارجه، ليؤكدوا للمشككين بأن القرار الشيعي واحد؛ وإن فرّق آل سعود بين أبنائه، وشتتهم بين الداخل والخارج.

إن «جمهورية الشرق العربية» الوليدة سياسيًّا هي في الواقع: قديمة، قدم هذا الشعب وهذه الأرض المقدسة؛ غير أن استعمار آل سعود لأرضها أخّرها بعض الوقت، بيد أن القرار استمر، ولم يمت؛ كما أراد له آل سعود عندما استعمروا الإحساء والقطيف.

الآن، وبعد أن تقرر مصير الإقليم بإعلان الجمهورية؛ فإن شعب الإقليم مطالب بتأسيس دولته، والقضاء على موروث العنصرية، والذل، والهوان الذي ما انفكت أسرة آل سعود تكرسه بين سكان الإقليم، وبينهم وبين جيرانهم، على أسس دينية عنصرية بعيدة عن روح الإسلام السمح.

وإننا من خلال هذا الموقع؛ ندعو شعبنا في الإحساء والقطيف للالتفاف والتضامن مع قيادات الجمهورية، لأنها أولاً وأخيرًا جاءت من أجل تحريرهم من ظلم آل سعود، وطغيانهم، وعنصريتهم.

وفي ذلك؛ فإن شعب الإقليم عليه ألا يلتفت للماضي الأسود، لأنه في عمر التاريخ قصير، قصر عمر أسرة آل سعود.

كما أننا عبر هذا الموقع الحر؛ نطالب بقية شعوب أقاليم الجزيرة العربية بأن تحذو حذو «جمهورية الشرق العربية»، وذلك بإعلان استقلالهم عن استعمار آل سعود، فإن لم يكن سلميًّا؛ فالواجب يقول بحمل السلاح لنيل الحرية!

كما أننا نحذر إخوتنا - «سكان جمهورية الشرق العربية» - : أن ينتبهوا، وأن يكونوا متيقظين لما سوف يقوم به عناصر آل سعود من محاولات لإفشال هذا العمل التاريخي الشجاع لإقليم الإحساء والقطيف.